بيت الحكمة

صُندوقُ أمِّ محفوظٍ

روز غريّب



hachette
أنطوان

صُندوقُ أمِّ محفوظٍ

أقاصيصُ وحكاياتٌ

بيت الحكمة
بيروت

صُندوقُ أُمِّ محفوظٍ

روز غريّب

الضّبط اللّغويّ والاستثمار التّربويّ: خليل السّيقلي
الغلاف، التّصميم والرّسم: ساندرا غصن
الدّاخل، الرّسوم: جوزف دكّاش

هاشيت أنطوان
تربية

صُندوقُ أُمِّ محفوظٍ

متابعة النّشر: نيكول عقيقي المصوّر

التّصميم المنهجيّ: Christie's *for printing and advertising*

ر.د.م.ك. 1 - 366 - 73 - 9953 - 978

النّاشر: Hachette Antoine

الطّبعة الأولى 2010

ص.ب. 0656 - 11، رياض الصّلح

11072050 بيروت، لبنان

العنوان التّجاريّ: سنّ الفيل، حرج تابت، بناية فورست

هاتف: 483513 - 1 - 961

بريد إلكترونيّ: info@hachette-antoine.com

قصّة

الدّوطةُ

سُرعانَ ما انتشرَ في القريةِ خبرُ رجوعِ سُمَيَّةَ بنتِ أَسعَدَ ضاهرٍ مِنَ «الإسكندريّةِ» بعدَ غيابٍ طويلٍ، فهبطَ على النِّسوةِ هُبوطَ **الغَيثِ** على الأرضِ اليابسةِ. وهُناكَ، على السّطحِ المُلاصِقِ لِبَيتِ أمِّ الياسَ، حَيثُ يَجلِسْنَ جَلَساتٍ تَطولُ ساعاتٍ، ويُدخِّنَّ النّارَجيلةَ مِن غيرِ مللٍ، ويَتبادَلْنَ الحكاياتِ الّتي لا نهايةَ لها، كانَتْ سيّدةُ البيتِ وزميلاتُها يَتحدَّثْنَ عَن هَذا الرّجوعِ، وقدْ ظهرَتْ على وجوهِهِنَّ دلائلُ الحِدَّةِ:

الدّوطةُ: كَلِمَةٌ مُعَرَّبَةٌ مِنَ الفرنسيّةِ «Dot» تَعْني الثَّروَةَ أَوِ المَهْرَ أَوِ الجهازَ مَعَ العَروسِ.
الغَيثُ: المَطَرُ.

ـ خمسُ مئةِ ليرةٍ ذَهباً يا أَمّ الياسَ. خمسُ مئةِ ليرةٍ ذهباً معَ سُمَيَّةَ! هَذا ما عرفْتُه ليلةَ وصولِها لأنّي كنْتُ هُناكَ في السّهرةِ. وبَقيْتُ أبحَثُ وأطلُعُ وأنزِلُ حتّى عرفْتُ الخبرَ اليَقينَ.

ـ لَكنَّ هَذا الخبرَ يَملأُ الضّيعةَ الآنَ. ويقولونَ فوقَ هَذا إنَّ معَها خاتَماً يُساوي مِئاتِ اللّيراتِ، وإنَّهُ هديّةٌ مِنَ المرحومِ عمِّها الّذي كانَ يُتاجرُ بالحِلى في «مِصْرَ».

ـ مِسكينٌ! كانَ بالحقيقةِ رَجلاً آدَميّاً. وهَل هَذا المالُ كلُّهُ مِن عمِّها؟

ـ لا يا حبيبتي، قالَتْ أمُّ الياسَ بشيءٍ مِنَ الانتفاخِ، وبلهجةِ مَن يُحسِنُ اكتشافَ الأسرارِ... تَعرفينَ أنَّ عمَّها بُطْرُسَ استقدمَها إلى «الإسكندريّةِ» وكانَتْ في نحوِ الخامسةَ عَشْرةَ مِنَ العمرِ، يَتيمةَ الأبِ، تعيشُ في بيتِ يوسفَ عُدوانَ ـ زَوجِ أمِّها ـ كالخادمةِ. وعمُّها كانَ بِلا أولادٍ، وزَوجتُه «**بِنتُ حلالٍ**»، فعلّمَها في

بنتُ حَلالٍ: تعبيرٌ شائعٌ يَعني أنَّ المرأةَ أو الفَتاةَ طيّبةٌ كريمةُ الأخلاقِ.

أَحسنِ المدارسِ، ثمّ أتقنَتْ فنَّ التّمريضِ **ومارَسَتْهُ** أكثرَ مِن خمسِ سنواتٍ موظَّفةً عِندَ الحكومةِ في أكبرِ المستشفياتِ، وَ... وَ...

ـ ولماذا رجَعَتْ إلى هُنا؟ سألَتْ أمُّ أنيسٍ باهتمام.

ـ لأنَّ عمَّها تُوفِّيَ ـ أعطاكُنَّ عُمرَهُ ـ ولَم ترغبْ في البقاءِ معَ أرملتِهِ الّتي أرادَتِ السّكنَ معَ أهلِها المقيمينَ هُنالِكَ، بعدَ أنْ تركَ لها زوجُها كلَّ ثروتِهِ...

ـ خمسُ مئةِ ليرةٍ ذهباً... ردّدَتْ إحداهُنَّ؛ دوطةٌ مُهمّةٌ. ولكنْ ما الفائدةُ؟ فالبنتُ قدْ جاوزَتِ السّنَّ...

ـ لا! لا! لا تغلَطي، صاحَتْ أمُّ أنيسٍ مُقاطِعةً. إنّها لَم تُجاوِزِ السّادسةَ والعشرينَ.

وصادَقَتْ على قولِها السّتُّ نُهادُ (ويُسمّونَها السّتَّ لأنّها مِن **أُسرةٍ** مَشايخَ). قالَتْ:

ـ نعمْ، إنّي أذكرُ أنَّ سُمَيّةَ وُلدَتْ في الأسبوعِ الّذي توفّيَتْ فيه حَماتي رحِمَها اللهُ، أيْ قبلَ ولادةِ بِنتي

مارسَتْهُ: زاولَتْهُ، عَمِلَتْ به.
الأُسْرَةُ: العائلةُ.

جانيتَ بشَهرٍ، بِنتي جانيتَ الّتي زوَّجْتُها، مِن غيرِ شرٍّ، منذُ ستِّ سنواتٍ.

ـ خمسُ مئةِ ليرةٍ ذَهباً! يا سعادةَ مَن يأخذُها، قالَتْ مُنْتَهى. لَكنّي سَمعتُ خبراً آخرَ. قالَتْ هَذا بلهجةِ مَن يُحاولُ **الكِتْمانَ فيَخونُه** لسانُه.

ـ ماذا سمعْتِ؟ صرخَتِ النِّسوةُ بصوتٍ واحدٍ.

ـ سمعْتُ أنَّ بَهيجاً ابنَ البَيْكِ يَنوي خُطْبَتَها. وهذا مَن يقفُ قُدّامَهُ؟

ـ نعمْ، ردَّدَتِ الجالساتُ وقدْ خَفضْنَ أصواتَهُنَّ. مَن يقفُ قُدّامَهُ؟

رأَتْ سُمَيَّةُ أنَّها موضوعُ **حَفاوةٍ** واهتمامٍ منذُ ليلةِ وصولِها. فهِي لا تَرى سِوى عيونٍ تَرمُقُها وتُحدّقُ إلى وجهِها وثيابِها. **شتّانَ** ما بينَ حالتِها الآنَ وما كانَتْ فيهِ قبلَ عَشْرِ سَنواتٍ، يومَ كانَتْ تسيرُ **غاديةً**

الكِتْمانُ: حِفْظُ السِّرِّ وإخفاؤهُ.

خانَ: اؤْتُمِنَ فلَمْ يَحفظِ الأمانةَ.

الحفاوَةُ: الإكرامُ والاِهتمامُ والعنايةُ.

شَتّانَ: اسمُ فعلٍ ماضٍ بمعنى «بَعُدَ».

غاديةً: سائرةً في الغَدْوَةِ أي الصَّباحِ الباكرِ.

رائحةً بثوبٍ واحدٍ لا تُبدِّلُه بسِواهُ، يومَ كانَتْ تقومُ بجميعِ أشغالِ البيتِ بعدَ رجوعِها مِن مدرسةِ القريةِ، بينَما أمُّها تَشتغلُ بالإبرةِ لتَكسَبَ بعضَ المالِ، وزوجُ أمِّها يَعودُ مِن تَفقُّدِ أرضِهِ الّتي لا تُنتِجُ شيئاً في رَغْمِهِ، فيَجلِسُ تحتَ العريشةِ أمامَ البيتِ ويُغنّي أغانيَ قديمةً يلحِّنُها على طريقتِهِ لحناً واحداً لا يتغيَّرُ، وأختُها ساميةُ تُطعِمُ الدّجاجاتِ، وأَخَواها كَميلٌ ورَئيفٌ يَعبانِ في الحارجِ، وإذا تَضارَبا وبَكى أحدُهُما صاحَتِ الأمُّ:

ـ سُمَيّةُ يَقْصُفُ عُمْرَكِ، انتبهي لأَخوَيْكِ!

هَذه الأمُّ الّتي كانَتْ تَشتغلُ بإبرتِها منذُ زواجِها الأوّلِ، لا تَزالُ تَشتغلُ بها الآنَ، وقَدْ جاوزَتْ مُنتَصَفَ العمرِ. هَذه الأمُّ الّتي تَرْعاها الآنَ بِعَطفٍ حديدٍ كانَتْ تَنظرُ إلَيْها مُنذُ عَشْرِ سَنواتٍ كَحِملٍ ثَقيلٍ. فقدْ ماتَ والِدُها شابّاً، ولَمْ يترُكْ لها سِوى مالٍ في **ذمّةِ** النّاسِ. فعاشَتْ عِندَ أُختِها أمِّ شَفيقٍ إلى أنِ اقتَرنَتْ بِهَذا

رائحةً: سائرةً في الرَّواحِ أي العشيِّ والمساءِ.
الذِّمّةُ: الأمانُ والعهدُ.

الرَّجلِ الّذي يَملِكُ بيتاً وقِطعةَ أرضٍ، ورُزِقَتْ مِنهُ بنتاً وصبيَّيْنِ.

وعاشَتْ سُمَيَّةُ في بيتِ زَوجِ أُمِّها غريبةً لا يَلتفتُ إلَيْها أَحدٌ، حتّى أُمُّها. فشبَّتْ فتاةً حَيِيَّةً قليلةَ الكلامِ لا تَجذِبُها زينةٌ أو هِندامٌ؛ لَكِنّها تحلُمُ، وهي في العاشرةِ، بمستقبَلٍ باهرٍ. وكانَ الشَّعرُ الطّويلُ في رأيِها السّاذَجِ أهمَّ علاماتِ الجَمالِ، فكانَتْ تتخيّلُ نفسَها في المستقبَلِ البعيدِ فتاةً رشيقةَ القَدِّ، صبيحةَ الوجهِ، تسيرُ في الطّريقِ وقد انسَدلَ شعرُها الطّويلُ على كَتِفَيْها وظَهرِها حتّى لامسَ الأرضَ، والنّاسُ حَوْلَها دَهِشونَ، يُشيرونَ بالأَيْدي ويَشخَصونَ بالأبصارِ.

وكانَتْ تَعرِفُ أنَّ لها في «الإسكندريّةِ» عمّاً قدْ جمعَ بعضَ الثَّروةِ، لَكِنَّهُ لا يَعرِفُها ولا يَهتمُّ لأمرِها. وخطرَ لها يوماً أنْ تَكتبَ إلَيْهِ، وشاءَتِ الأقدارُ أنْ

حَيِيَّة: شديدة الحياء والخجل.
الهِندامُ: حُسنُ القدِّ والشّكلِ الخارجيّ.
السّاذجُ: البسيطُ، الحَسنُ الأخلاقِ.
الصَّبيحُ: الوَضيءُ المُشرِقُ.

يَستقدمَها معَ أُسرةٍ مِصريّةٍ كانَتْ مُصطافةً في «لُبنانَ».
وكانَ أنْ مرّتْ هَذه السّنواتُ العَشْرُ كلَمحِ البَصرِ.
ولَكِنْ، أيُّ أَثرٍ تَركَتْهُ في نفسِ سُمَيّةَ؟ أيُّ أَثرٍ تركَتْهُ في وَجهِها؟ ونظرَتْ إلى المرآةِ، فأطَلَّ علَيْها وجهٌ مستديرٌ ممتلئُ الخدَّيْنِ، ذو سُمرةٍ **تَضرِبُ** إلى الاحمرارِ.
ورأَتْ عينَيْها الحالمَتيْنِ كأنَّهُما في إغفاءةٍ **وذهولٍ**، لَكِنَّ السّنواتِ العَشْرَ قدْ أضافَتْ إليهِما نوراً جديداً.

وإذا بِها تَسمعُ وَقْعَ خُطُواتٍ. وإذا بوالدَتِها تَدنو مِنها وعلى فمِها ابتسامةٌ، ووَجهُها يفيضُ حُنوّاً... وتَمدُّ يدَها إلى كَتِفِ الفتاةِ تُحاولُ ملاطفَتَها. فابتعدَتْ عَنها هَذه بحَركةٍ عصبيّةٍ أخفَتْ ما شعرَتْ به مِن **نُفورٍ**.

ما هَذا العَطفُ الجديدُ الّذي يَبذلونَهُ لها؟ ولماذا لَم يَفعلوا هَذا حينَ كانَتْ طِفلةً وبحاجةٍ إلى العَطفِ؟

تَضرِبُ: تَميلُ.
الذُهولُ: الشُرودُ بالنّظرِ.
النُفورُ: الكُرْهُ والرّفضُ.

آهِ! لماذا لا يَتركونَها وشأنَها؟ هو خيرٌ مِن هَذا **المَلَقِ** المُزعِجِ.

سُمَيَّةُ، بِنتي، قالَتِ الأمُّ. ماذا تَقولينَ؟ لقدْ أَرسلَ بَهيجٌ ابنُ البيْكِ **يخطُبُكِ**، وأنتِ تَعلمينَ أنَّهُ زينةُ الشُّبّانِ هُنا، وأنَّ أهلَهُ ذوو مالٍ وجاهٍ وأرزاقٍ واسعةٍ. أمّا أنا وعمُّكِ فلا نَبْغي سِوى رِضاهُم. ولَكِنْ لا بأسَ مِن عَرْضِ الأمرِ عليْكِ، ولا أظنُّكِ تتردَّدينَ في القُبولِ يا ابْنتي...

وسكتَتْ أمُّ سُمَيَّةَ بُرْهةً تَمثَّلَتْ فيها بِنتَها وقدْ أحاطَ بها الخَدَمُ في بيتِ البَيْكِ، وهي - أمُّها - تمشي بَينَ النّاسِ شامخةَ الرّأسِ، فتَرمُقُها باقي النِّساءِ بِعَينِ الحَسَدِ، **فتاهَتْ** على فمِها ابتسامةٌ **ظافرةٌ**. لَكِنَّ سُمَيَّةَ أبطأَتْ في الجوابِ، فارتفعَ صوتُ الأمِّ بإلحاحٍ:

الملقُ: الودُّ واللُّطفُ الشّديدُ باللّسانِ لا من القلبِ.
خطب الفتاةَ: طلبها للزّواجِ.
تاهتْ: ظهرتْ بمظهرِ المتكبّرِ.
ظافرةٌ: منتصرةٌ.

ـ ماذا تقولينَ؟

ـ ماذا أقولُ؟ دَعيني أفكِّرْ.

ـ تُفكِّرينَ؟ آهِ يا بِنْتي، هَذا نصيبٌ تَتمنّى مِثلَهُ كلُّ بِنتٍ في البَلدةِ، ولَكِنْ أَينَ تَجدُ مِثلَهُ؟ لقدْ رُزِقْتِ المالَ والجاهَ، فلا تَجحَدي النّعمةَ ولا تَتَرَدَّدي...

وضاقَتْ سُمَيَّةُ ذَرْعاً بِهَذا الكلامِ، فقالَتْ:

ـ بِحقِّكِ يا أُمّاهُ! دَعيني وشأْني الآنَ. ما رأيُكِ لو تَحادَثْنا في هَذا الموضوعِ غداً بدلَ اليومِ؟

وانصرفَتِ الأمُّ بعدَ لأْيٍ وهي تُتمتِمُ:

ـ اللهُ يَهديكِ. اللهُ يَهديكِ.

كانَ اللّيلُ قدْ أَرخى سدولَهُ، واستغرَقَ أهلُ المنزِلِ في النَّومِ، حينَ جَلستْ سُمَيَّةُ بجانبِ النّافذةِ وعَيناها تأبَيانِ الرُّقادَ. لقَدْ كانَتْ تَظُنُّ أنّها لنْ تَعودَ إلى هَذا

الجاهُ: القدْرُ والشَّرفُ.
جَحدَ النّعمةَ: أَنكرَها وكفرَ بها.
ضاقَ ذرعاً بالأمرِ: لم يقدِرْ عليْهِ، لم يحتمِلْهُ.
اللأْيُ: الإبطاءُ والشِّدَّةُ.
السّدولُ: مفردُها السَّدْلُ أو السُّدْلُ وهو السّتارُ.

المكانِ. وها هِي قدْ عادَتْ. لماذا؟ هلْ جاءَتْ تطلُبُ الرّاحةَ أمِ الزَّوجَ؟ قبلَ بِضْعِ سَنواتٍ كانَ الزَّواجُ حُلماً يَملأُ حياتَها، لَكِنَّها شُغِلَتْ بالعملِ فاحتَلَّ هَذا الحُلمُ زاويةً ضيّقةً مِن نَفسِها. بالأمسِ كانَ صَدرُها يَخفُقُ لكلِّ فَتىً مفتولِ السّاعدِ. أمّا الآنَ...

واستَعرضَتْ صُوَرَ رفيقاتٍ لها عرفَتْهُنَّ قبلَ سَفرِها، فتَياتٍ مشَيْنَ كالنّعاجِ إلى حيثُ قَذفَتْ بهِنَّ يَدُ الأهلِ والحظِّ: نُهى الّتي زُفَّتْ وهِي في السّادسةَ عَشْرةَ إلى رَجلٍ كبيرِ السّنِّ، ونَجْلا الّتي اقترنَتْ برَجلٍ أمّيٍّ جاهلٍ لا يُرضي طموحَها، وجَميلَةَ الّتي تعيشُ عيشةَ **الكَدَرِ** لأنَّها لم تُرزَقْ ولداً... وأَسماءَ... لماذا يؤثِّرُ في نَفسِها ذكرُ هَذه الفتاةِ؟ لقدْ كانَتْ صورةً حيَّةً للجَمالِ الهادئِ، وكانَ على وَجهِها ابتسامةٌ مَلائكيّةٌ. وقدْ ذهبَتْ إلى الدَّيرِ لأنَّ أُسْرَتَها فقيرةٌ، كثيرةُ العددِ، فأرادَتْ تخفيفَ الحِمْلِ عَن والدِها... مِثلُها كثيراتٌ ذَهَبْنَ إلى الدَّيرِ،

الكدَرُ: عدمُ الصّفاءِ.

لَكِنَّ واحدةً مِنهنَّ لَم تؤثِّرْ في نفسِها نَظيرَ أَسْماءَ.

وبَهيجٌ هَـذا... ماذا يكونُ؟ إِنَّها لا تَعرِفُ عَنهُ سِوى أَنَّهُ «ابنُ البَيْكِ» ووجيهُ القَريةِ. ولَكِنْ بَلى. تَعرفُ الشَّيءَ الكثيرَ: تَعرفُ أنَّ أباه جَمعَ ثَروتَهُ مِن مالِ الفقراءِ الَّذينَ كانَ يَستَرْهِنُ أَراضِيَهُم ثُمَّ يَبتاعُها بأبخَسِ الأَثمانِ؛ وتَعرفُ أَنَّهُم قَومٌ يَحتكرونَ الأموالَ ولا يجودونَ بالفِلْسِ؛ وتَذكرُ أنَّها، عِندَما كانَتْ فتاةً صغيرةً، مرَّتْ يوماً قُربَ بيتِ البَيْكِ معَ أَخيها كَميلٍ، فرَماهُ ابنُ البَيْكِ الأصغرُ بحَصاةٍ أصابَتْ رجلَهُ، فردَّها إِلَيْهِ كَميلٌ، وأصابَتْ كَتِفَهُ، فصرخَ صُراخَ المَجانينِ؛ وإذا بِبَهيجٍ هَذا ـ وكانَ فتىً في الرّابعةَ عَشْرةَ ـ يَهجمُ على كَميلٍ ويَضرِبُه على وجهِهِ حتّى يَسيلَ الدّمُ مِن فمِهِ. هي تذكُرُ هَذا ولا تَنساهُ.

واستوَتْ سُمَيَّةُ على فِراشِها. وكانَ اللَّيلُ قدْ مَضى

نظير: مِثْل.
يسترهِنُ الأرضَ: يَرهُنُها مقابِلَ دَيْنٍ.
استَوَتْ: جلسَتْ مستقيمةً.

إلّا أقلَّهُ، فألقَتْ على كَتِفَيْها رداءً وخرجَتْ إلى السَّطحِ الّذي بجانبِ الغُرفةِ. وكانَ القمرُ يسيرُ هُبوطاً فوقَ الأَوديةِ، وقدْ زادَ اصفرارُه وتغيّرَتْ مَلامحُه. واللّيلُ **مُلتحِفٌ** بِرداءِ السّكونِ، والأرضُ ناصِعةُ البياضِ تَستحِمُّ بنورِ القمرِ. فأحسَّتِ الفتاةُ، في أعماقِ روحِها، بفَراغٍ وحَنينٍ، كأنَّ هُناكَ حاجةً مُلحّةً إلى شيءٍ لا تَدري **كُنْهَهُ**. وفجأةً خطرَ لها أنّها، مُنذُ طفولتِها، لم تَلْقَ عَطفاً مِن أَحدٍ. فقدْ كانَ بعضُ مَن عرفَتْهُم يَنظرُ إلَيْها نظرةَ إشفاقٍ، وآخرونَ نِظرةَ استخفافٍ ولا مُبالاةٍ. وهِي تَتوقُ إلى نَفْسٍ تكونُ لنَفْسِها شقيقةً ورفيقةً. وأَينَ تَجدُ مثلَ هَذه الرِّفاقةِ؟! أَفي بَهيج هَذا وهو ـ ككُلِّ أبناءِ طَبَقتِه ـ يَنظرُ إلَيْها وإلى قَومِها نِظرةَ احتقارٍ، حتّى إذا لاحَ له بَينَهُم بريقُ ثَروةٍ سارعَ إلى إلقاءِ شَبَكتِهِ وهو واثِقٌ بِوُقوعِ الصَّيدِ؟!

وخَرَّ الألمُ في صدرِ الفتاةِ. وتَراءى لها أنّها كانَتْ، وستَبقى أَبداً، وحيدةً، لا نَفْسَ تَشعرُ شعورَها، ولا

المُلتحِفُ: اللّابسُ والمُعطّى.
الكُنْهُ: الجَوهرُ والمضمونُ.

قَت **يُشاطِرُها** الحزنَ والسّرورَ. فشَهَقَتْ بالبكاءِ، وتسارعَتْ في صدرِها الزَّفَراتُ. وخافَتْ أنْ يُحسَّ بها أحدُ النّائمينَ، فحَبسَتْ دُموعَها، وعادَتْ إلى الفِراشِ.

وهُنا تَمثَّلَ لها شَبَحٌ هَزيلٌ مرعِجٌ وقفَ أمامَها لا يَتزحزحُ. فرأَتْ حياتَها مُظلمةً موحِشةً، تمرُّ بها وُجوهٌ مُشفِقَةٌ، وأُخرى ساخِرةٌ أو **شامِتةٌ**. وكادَتْ سُمَيّةُ تَتراجعُ أمامَ هذا الشَّبحِ وقَدْ **خذلَتْها** قُواها. لَكِنَّها استعادَتْ عَزمَها، وصرخَتْ في وجهِهِ:

ـ لا. لَن أكونَ وحيدةً. ليَ الدُّنيا بطولِها وعَرضِها، والدُّنيا هي بَيتي ومَيدانُ عَملي. وإذا كانَ الزَّواجُ لا يَمنحُني ما أتوقُ إلَيْهِ، فما مَعنى الزَّواجِ؟

وأطبقَتْ جَفنَيْها عِندَ هَذه الفِكرةِ واستسلمَتْ لنَومٍ مُطمَئنٍّ.

يُشاطِرُها: يُقاسِمُها.
الشّامِتُ: الّذي يفرَحُ لبليّة غيرِه.
خذَلَهُ: لَم ينصُرْهُ ولَم يعاوِنْهُ.

كانَتْ أنفاسُ الصَّباحِ تَهُبُّ باردةً فوقَ الجبالِ، وتَدخلُ الغرفةَ حَيثُ رقدَتِ الفتاةُ وأختُها، فتُدغدِغُ حَواسَّهُما روائحُ الصَّنوبرِ والأعشابِ البَرِّيّةِ. وتدفَّقَ النّورُ بَحراً يَغمرُ العيونَ بأمواجِهِ، ففتحَتْ سُمَيَّةُ عينَيْها المتعَبتَيْنِ، وأدارَتْ نَظرَها في أجزاءِ الغرفةِ، فاستقرَّ على أختِها سامِيَةَ. وعَجِبَتْ كيفَ أنَّها لَم تفكِّرْ في هَذه الفتاةِ قبلَ الآنَ.

كانَتْ سامِيَةُ في الثّامنة عَشْرةَ مِن العُمرِ، تَنمو في ظلِّ الطّبيعةِ كالأزهارِ البَرِّيّةِ، وقدِ انصرفَتْ إلى أعمالِ البَيتِ مكانَ سُمَيَّةَ، فنَشِطَ ساعِداها في أحضانِ النّورِ والهواءِ النَّقيِّ.

وتَمتمَتْ سُمَيَّةُ قائلةً: «زَهرةٌ نَضِرَةٌ. لَكنَّها كالطّائرِ المكسورِ الجَناحِ، إذْ لَم تَتعلَّمِ السَّيرَ وحدَها، فهِي آلةٌ في أَيدي الأهلِ والأَولياءِ». وتحرَّكَتْ في نَفسِها عاطفةٌ كامِنةٌ، فنادَتْ بصَوتٍ خافِتٍ: سامِيَةُ! سامِيَةُ!

نَضِرةٌ: حَميمةٌ طافحةٌ بالحياة.
الأولياءُ: الأصدقاءُ والمحبّونَ.

وفتحتِ الفتاةُ عينَيْها، فَلاحَ فيهِما نورُ ابتسامةٍ ساذَجةٍ:

ـ سُمَيَّةُ؟

ـ ماذا؟

ـ أُريدُ أنْ أحادثَكِ في أَمرٍ مُهِمٍّ.

ـ قولي... ماذا؟ ولاحَ الِاندهاشُ في وَجهِ سامِيَةَ.

ـ قولي لي... أَما فكَّرتِ مَرّةً في الزَّواجِ يا أُختاهُ؟

فأَطرقَتِ الفتاةُ وقَدْ صَبغَ خدَّيْها الِاحمرارُ وتَمتَمَتْ:

ـ أنا...

ـ أما خَطَبَكِ مِن أبوَيْكِ أحدُ أبناءِ الضَّيعةِ؟ قولي. إنَّ أمرَكِ يُهمُّني. ألا تَثقينَ بي؟

ـ بلى. بدونِ شكٍّ... ولَكِنْ...

ـ ولَكِنْ ماذا؟

ـ شَفيقٌ... تَعرفينَ شَفيقاً ابنَ خالتي؟

ـ نعمْ. ماذا؟

ـ لقَدْ عِشْنا صديقَيْنِ مُنذُ الصِّغَرِ، ولا أَشكُّ في أنَّ

أطرقَ: خفضَ عينَيْهِ ناظراً إلى الأرضِ.



حبُّهُ لي يُعادلُ حُبّي له. لَكِنَّ شَفيقاً لا يُرضي والدتي لأنَّهُ فَقيرٌ. وخالتي **تُعرِضُ عنّي** لأنَّها تريدُ لابنِها فتاةً ذاتَ ثَروةٍ.

ـ آهِ!.. وتنهّدتْ سُمَيَّةُ، وأدارَتْ وَجهَها إلى الحائطِ، وجَمعَتْهُ بينَ يدَيْها وهِي تُخاطِبُ نَفسَها: «المالُ... إنَّهُ كلُّ شيءٍ... وهَذه الفتاةُ المِسكينةُ ما ذَنْبُها؟ وما ذَنبُ شَفيقٍ إذا كانَ فقيراً؟ أَيُضَحّونَ بهِما لأَجلِ المالِ؟ أَمْ يُرسلونَ الفتاةَ إلى الدَّيرِ؟».

... وهُنا تَمثَّلَتْ لها أَسْماءُ.

مضى على هَذه النّيةِ يومانِ. وشاعَ في القَريةِ خبرٌ آخَرُ، وهو أنَّ سُمَيَّةَ رجَعَتْ إلى «مِصْرَ» وتركَتْ لأهلِها رسالةً تَقولُ فيها: «إنّي عائدةٌ إلى شُغلي في «الإسكندريّةِ»، وتاركةٌ لأُختي سامِيَةَ مَبلغَ مئةِ ليرةٍ ذَهبيّةٍ بِصِفةِ دوطَةٍ، على شرطِ أنْ تَقترنَ بمَنْ تُحبُّ».

وبعدَ بِضعةِ أسابيعَ كانَ أهلُ القَريةِ يَحتفلونَ في

أَعرضَ عنهُ: تخلّى عنه وتركَهُ وأضربَ عن لقائِه.

كنيستِها بزِفافِ ساميَةَ وشَفيقٍ. وكانَتِ الكَنيسةُ **مُكتظّةً** بالحُضورِ، والعروسُ مُشرِقَةً كالزَّنبقةِ البيضاء، لَكِنَّ في عينَيْها ابتسامةً كئيبةً. وكانَتْ أُمُّ شفيقٍ تَقفِزُ كالغزالِ وعَيناها تَبرُقانِ بنارِ الفَوزِ، وأُمُّ الياسَ تَرمُقُها بعينِ الغَيرةِ المتأجّجةِ في صدرِها، وتقولُ للسّتِّ نُهادَ الواقفةِ بِجانبِها:

ـ طَلَعَتْ خَيريَّةً بكيسِ أمِّ شَفيقٍ.

ـ مِسكينةٌ سُمَيّةُ. قالَتِ السّتُّ نُهادُ وهي **تَتكلَّفُ ابتسامةً**.

وكانَتْ بجانبِها امرأةُ البَيْكِ أمُّ بَهيجٍ، مُنتصبةً كالبُرجِ وهي تكادُ تَختنقُ مِن شدّةِ الحرِّ **والزِّحامِ**. وإذْ سمعَتْ قولَ السّتِّ نُهادَ **حَدَجَتْها** بنِظرةٍ ناريّةٍ وهي تقولُ:

ـ مِسكينةٌ؟ نعمْ مِسكينةٌ! إنّها مجنونةٌ، وقَدْ أراحَنا اللهُ مِنها.

مُكتظّةً: مُمتلئةً

تتكلّفُ الابتسامة: تصنَعُها وتقومُ بها بمشقّةٍ وعلى غيرِ عادةٍ.

الزّحامُ: التّدافُعُ في مكانٍ ضيّقٍ

حَدجهُ: حدّقَ إليْه

ـ الحقُّ مَعَكِ يا عُيوني، قالَتْ أمُّ الياسَ. لأنَّهُ مَن مِن بناتِ الضَّيعةِ تَتَحلّى عَن هَذا النَّصيبِ، وتَتركُ بَهيجاً ابنَ البَيْكِ، إلّا الّتي تَخلّى اللهُ عَنْها وابْتَلاها بالحُبونِ؟...

ابتلاها: اختبرها وجرّبها.

قصة

معركةُ «عنجرَ»

في عَصْرِ نهارٍ ربيعيٍّ جلسَ الأميرُ المعنيُّ فخرُ الدّينِ الثّاني يَطلبُ الرّاحةَ مِن عناءِ النّهارِ، في شُرفةِ قصرِهِ الفَخمِ الّذي أَشرفَ على بنائِهِ وتجميلِهِ نُخبةٌ مِنَ المُهندسينَ والفنّانينَ استقدَمَهُمْ مِن «إيطاليا».

جلسَ مُتربِّعاً فوقَ مَقعدٍ **وثيرٍ**، في ظِلِّ **رُواقٍ** رُخاميِّ الأَعْمدةِ، تَلتفُّ حولَهُ نباتاتٌ عِطريّةٌ مُزْهِرةٌ؛ فتُثيرُ جوّاً مِنَ الحُلمِ وهَناءةِ العَيشِ.

كانَ الأميرُ صغيرَ القامةِ، يبدو فوقَ مَقعدِهِ كأنّهُ كومَةٌ مِنَ المَلابسِ الفاخرةِ **الفَضفاضةِ**. قدْ غَرِقَ

الوثيرُ: الليّنُ المُريحُ.
الرُّواقُ: سقفٌ في مقدَّمِ البيتِ.
الفضفاضةُ: الواسعةُ.

رأسُه تحتَ عِمامةٍ ضَخمةٍ، وظَلّلَتْ وجهَهُ لِحيةٌ كَثّةٌ، فلا يَكادُ يَظهرُ مِنهُ إلّا عَينانِ حادَّتانِ يَشِعُّ مِنهُما نورُ الطّموحِ والإقدامِ. يُطرِقُ حيناً ليَغوصَ في تفكيرٍ حالِمٍ، ثُمّ يمدُّ بَصرَهُ نحوَ البحرِ الأزرقِ الكبيرِ الّذي يَغسِلُ قدَمَيْ «بَيروتَ»، هَذا البحرِ الّذي حَملَهُ مُنذُ عَشْرِ سَنواتٍ خَلتْ إلى «توسْكانةَ»، حَيثُ قَضى خَمسةَ أعوامٍ حافلةٍ بالتّجارِبِ، وعقدَ بَينَهُ وبَينَ أُمرائِها عَهدَ صَداقةٍ كانَ مِن نتائجِهِ أنْ أصبحَ «لُبنانُ» مركَزاً تِجاريّاً وسِياحيّاً لا يُستهانُ به. وإذْ ذاكَ يُحوِّلُ الأميرُ بَصرَهُ ناحيةَ الشّرقِ ليُلقيَ نِظرةَ عَطفٍ على الجبلِ **الأشمِّ مَعْقِلِ** المَعنيّينَ، حَيثُ **يَعتصِمُ** جيشُه الباسِلُ، وحَيثُ تَنبسِطُ، على مَدِّ النّظرِ، كُرومُ العنبِ والزّيتونِ، وحقولُ القمحِ، و**مَغارِسُ** التّوتِ، مَنْبَعُ ثَروةِ الجبلِ، ومَصدرُ خَيراتِهِ.

كثّةٌ: كثيفةُ الشَّعرِ.
الأشمُّ: المرتفعُ الشّامخُ.
المَعْقِلُ: المَلجأُ.
اعتَصَمَ: التجأَ وامتنَعَ.
المغارِسُ: مفردُها المَغْرِسُ وهو مَوضِعُ الغَرسِ.

وداعَبَ أنفَهُ عطرُ الياسَمينةِ المُنتشِرُ، فعَبَّ منهُ مِلْءَ رئتَيْهِ. ولمعَتْ عَيناهُ ببَريقِ الفوزِ و**الكِبْرِ**. أَلَمْ يَقضِ على أعدائِهِ واحداً تلوَ آخَرَ، وَفْقاً للخِطّةِ الّتي رَسمَها قبلَ سنواتٍ، بإشارةِ أمِّهِ نَسَبِ التّنّوخيّةِ؟ قَضى على ابنِ فُرَيخٍ في «البِقاعِ»، وعلى ابنِ سيفا في «الشِّمالِ»... بَسطَ سلطانَهُ على «صَفَد» و«نابُلُسَ»، وها إنّهُ قدْ حقّقَ حُلمَهُ الأخيرَ... بنى في «بَيروتَ» القصرَ الجديدَ الّذي أرادَهُ دُرّةً لامعةً في تاريخِ الإمارةِ، آيةً مِن آياتِ الفنِّ والعُمرانِ الغربيِّ الحديثِ.

ولكِنْ... هُوَذا وَقعُ أقدامٍ **يَنتهي إلَيْه**. لَعلَّهُ واحدٌ مِن أهلِ **بِطانَتِهِ** جاءَ يُعكِّرُ علَيْهِ صفاءَ خَلوتِهِ. لقَدْ صَدقَ ظَنُّه، ودَخلَ عَليْهِ مِن غَيرِ استئذانٍ خادمُه الخاصُّ يوسفُ المُجري، فسَلَّمَهُ ورقَةً مَطويّةً كانَتْ مَخبوءةً تحتَ زِنّارِهِ. فتَناوَلَها الأميرُ وأشارَ إلى الرَّجلِ بالِانْصرافِ.

الكِبْرُ: الشَّرفُ والرِّفعةُ.
انتهى إلى: بلَغَ، وصَلَ.
بطانةُ الرَّجل: أهلُه وخاصّتُه، حاشيتُه.

وما إنْ قرأَ الورقةَ حتّى انكمشَتْ مَلامِحُه وفارَقَهُ **زَهْوُه**. تَذكّرَ ما كانَتْ تُردّدُه أمُّه أحياناً على سَمْعِه: «عَيْنُكَ بالسَّهرِ. الدَّهرُ دولابٌ، والدُّنيا لا تَدومُ على حالٍ».

ما أَصدقَ هَذا القولَ! الدَّهرُ لا يدومُ على حالٍ. بالأمسِ انتقَمَ مِن خَليفِهِ الخائنِ يونسَ بْنِ خَرفوشَ الّذي حَرَّضَ علَيْه واليَ «دِمَشْقَ» فاحتلَّ أَرضَهُ في «البقاعِ». وحينَ ظَنَّ أنَّ الجوَّ قدْ صَفا له، إذا به **يَلبُدُ** مُجدَّداً. هَذه الرّسالةُ الّتي بَعثَ بها أَحدُ رجالِه الأُمَناءِ تُنذِرُه بشَرٍّ **مُستطيرٍ**: إنَّ عدوَّهُ **اللّدودَ** ابنَ سيفا، الّذي سَحقَهُ الأميرُ سَحقاً ونَقلَ حجارَ حُصونِهِ المهدَّمةِ ليَبنيَ بها قصرَهُ في «دَيْرِ القَمَرِ»، يَأبى النّومَ على **الضَّيمِ**. فقَدْ لجأَ إلى «دِمَشْقَ» مِن طريقِ «حِمْصَ»، وانضمَّ رجالُه ورجالُ يونُسَ بْنِ خَرْفوشَ إلى جَيشِ الوالي مُصْطفى

الزَّهوُ: الكِبْرُ والإعجابُ بالنَّفس.
لَبَدَ بالمكان: أقام فيه.
المُستطيرُ: الواسعُ المنتشِرُ والمثيرُ للذُّعرِ.
اللّدودُ: الشّديدُ العداوَةِ والخُصومةِ.
الضَّيْمُ: الظُّلمُ.

باشا الّذي يَحملُ لِفَخْرِ الدّينِ مِن الحِقْدِ والكَراهيَةِ أضعافَ ما يَحمِلُه ابنُ سيفا.

ثَلاثةُ جيوشٍ تَستعِدُّ لمُهاجَمتِه دُفعةً واحدةً!... لقدِ انتصرَ على خُصومِهِ فيما مَضى، حينَ قابَلَهُم مُنفردينَ... أمّا الآنَ، فماذا؟ هلْ يَهربُ مِن مُصْطفى باشا كما هربَ قبلُ مِن حافِظٍ باشا إلى «توسْكانَةَ»؟

ونهضَ مِن مَقعدِهِ وأخذَ يَذْرَعُ الأرضَ ويَعبَثُ بِلحْيتِهِ على عادتِهِ في ساعاتِ الغضبِ والانفعالِ الشّديدِ. وإذا ببابِ الشُّرفةِ يَنشقُّ، وتُطلُّ أمُّه بوَجهِها الهادئ وعَينَيْها الصّافيتَيْنِ، فيَخِفُّ لِلقائِها ويقبّلُ يدَها قائلاً:

ـ كنْتُ أُفكّرُ فيكِ يا أُمّي! ما الّذي جاءَ بكِ مِن «دَيْرِ القَمرِ»؟ كَيفَ عَلمْتِ أنّي بحاجةٍ إلَيْكِ؟

ـ حَلَمْتُ بكَ في نَومي. رأيْتُ في وجهِكَ قَلقاً وانزعاجاً، فجِئْتُ لأَطمئنَّ إلى سلامتِكَ.

درع المكان: قاسهُ بالذّراع، والمقصودُ أنّه أكثر من الذّهاب والإياب مهموماً وكأنّهُ يقيسُه.

ـ لَقَدْ صحّ ظنُّكِ. فإنّي قلِقٌ، حائرُ النّفسِ.

ـ هلْ هناكَ خطرٌ مِن ناحيةِ «دِمَشْقَ»؟ أمْ مِن ناحيةِ الباب العالي؟

ـ نعمْ، كِلاهُما يُعِدُّ العُدّةَ لِمُهاجَمتي. فوالي «دِمَشْقَ» لا يُقدِمُ على الحربِ إلّا بوَحْيٍ مِن «الآستانَةِ».

ـ لا تَستسلِمْ للخَوفِ يا بُنيّ.

ـ كَيفَ لا أخافُ يا أُمّي؟ أعدائي هذه المرّةَ كثيرونَ. إثْنا عَشَرَ ألفَ **إنْكِشاريٍّ** مِن «الشّامِ» يَتهيّؤونَ **لغَزْوِ** بِلادي، **يؤازِرُهُم** رجالُ ابْنِ سيفا مِن ناحيةٍ، وابْنِ حَرْفوشٍ مِن ناحيةٍ أُخرى؛ وجَيشي لا **يُجاوِزُ** أربعةَ آلافٍ...

لَكِنَّ رِجالَكَ أعظمُ **بأساً**. إنَّهم يُدافعونَ عَن أرضِهِم. أمّا رجالُ الباشا فمَأْجورونَ.

الإنكشاريّةُ لفظةٌ تركيّةٌ عثمانيّةٌ تعني الجيشَ الجديد.
الغزْوُ مُهاجمةُ العدوِّ لقتالهِ ونهبهِ في دياره.
آزرَ فلاناً عاونهُ وساندهُ.
يُجاوزُ يتعدّى، يفوقُ.
البأسُ الشّجاعةُ والقوّةُ.

ـ لَكِنَّ رِجالَ الباشا يَفوقونَهُم عَدداً وعُدَّةً!

ـ اسمعْ يا بُنيَّ. رأيي أنْ لا تُبدِّدَ نشاطَكَ في الهَلَعِ والاِضطرابِ، وألّا تنتظرَ هُجومَ أعدائِكَ علَيْكَ، بلْ أنْ تَذهبَ بجيشِكَ لِلقائِهِم فتُفاجِئَهُم وتُطوِّقَهُم **وتَتغدّاهُم قبلَ أنْ يَتَعَشَّوْكَ!**

عَمِلَ فَخْرُ الدّينِ بمَشورةِ أُمِّهِ. جمعَ جيشَهُ الوطنيَّ المؤلَّفَ مِن أبناءِ الجبلِ الأشدّاءِ. ضَمَّ إلَيْهِمِ السّكْمانيّةَ المُرتَزِقةَ، ورجالَ حُلفائِهِ الشِّهابيّينَ حكّامِ «وادي التَّيْمِ»، ومعَهُم **مَتاوِلَةُ** «بِلادِ بِشارَةَ».

وزحَفَ جيشُ الوالي نحوَ «لُبْنانَ» زَحْفَ الجَرادِ. وما إنْ بلغَ سهلَ «عَنْجَرَ»، القريبَ مِن الحدودِ، حتّى أطبقَ علَيْهِ مِن التّلالِ المُحيطةِ جيشُ اللُّبنانيّينَ يقودُهُمُ الأميرُ بنفسِهِ، **يَخْفِرُهُ** مِنَ الجانِبَيْنِ فرقتانِ بقيادةِ ابنِهِ عَلِيٍّ وأخيهِ يونُسَ.

تَتغدّاهُم قبْلَ أنْ يتعشَّوْكَ: تعبيرٌ سائرٌ يعني أنْ تَسبِقَهُم إلى الأمرِ وتُنفِّذَهُ قَبْلَهُم.
المتاوِلةُ: الشّيعةُ، مفردُها المُتوالي.
خفَرَهُ: حَماهُ وحَرَسَهُ.



ودارَتْ **رَحى** مَعركةٍ هائلةٍ تَلاحَمَ فيها الفريقانِ بالسِّلاحِ الأَبيضِ وشقَّ غبارُها **عَنانَ السَّماءِ**. تَلامعَتِ السُّيوفُ، وتَطايرَت الرّؤوسُ، وارتجفَتِ السُّهولُ والتِّلالُ مِن هَولِ القتالِ. وأَظهرَ الأميرُ وحُلفاؤُه مِن البَسالةِ والحِنْكةِ ما أَلقى الذُّعرَ في صُدورِ أعدائِهِم، فتراجعَ الإِنْكِشاريَّةُ وانهزموا عابِرينَ على جُثثِ قَتْلاهُم، تاركينَ وراءَهُم أَكْداساً مِن الذّخائرِ والأَعلامِ فوقَ ذلكَ السَّهلِ الفسيحِ.

وفيما كانَ فَخْرُ الدّينِ مُعْتَلياً صَهوةَ جَوادِهِ، يَتنقَّلُ مُبتهِجاً بانتصارِهِ بَينَ الجَرحى والقَتلى المُنطرحينَ معَ جيادِهِم فوقَ التّرابِ، إذا به يُبصِرُ عدوَّهُ مُصْطفى باشا وقدْ تركَهُ رجالُه جريحاً خائراً لا يَقوى على الحَركةِ، وحيداً أعزلَ يئنُّ مِنَ الأَلمِ ولا يَجدُ مَن يَلتفتُ إلَيْهِ.

اشتعلَ صدرُ فَخْرِ الدّينِ بنارِ الحِقدِ، ورفعَ السّيفَ

الرَّحى: الطّاحونُ، وهنا استعارةٌ للمعركةِ لتصويرِها تَسحقُ المتقاتلين كما يسحقُ الطّاحونُ الحَبَّ.
عَنانُ السَّماءِ: أعاليها.

لِيَضرِبَ عدوَّهُ ويَثأرَ مِنهُ. لَكنَّهُ رأى ذلكَ الرَّجلَ الجبّارَ **يَتحاملُ على نفسه**، يَزحفُ مُتَثاقلاً، **يَجثو** أمامَهُ ويقولُ بصوتٍ **مُتهدّجٍ**: «أستحلِفُكَ بِأعزِّ إنسانٍ لدَيْكَ أنْ تَعفوَ عَنّي»!... لاحَ لِفَخْرِ الدّينِ خيالُ أمِّهِ تُحدِّقُ إلَيْهِ بوَجْهِها الهادئِ وعَينَيْها الصّافيتَيْنِ. أيستطيعُ أنْ يَرُدَّ طَلَباً جاءَهُ باسمِها؟ خُيِّلَ له أنَّها تقولُ، وعلى فمِها ابتسامةٌ: «العَفوُ عِندَ المَقدِرةِ يا بُنيَّ». وفي الحالِ ردَّ سَيفَهُ إلى غِمدِهِ، ثمَّ قالَ لِرجالِهِ الّذينَ اجتمعوا حَولَهُ:

ـ لقدْ صفَحْتُ عَنْه. أُريدُ مِنْكُم أنْ توصِلوهُ سالماً إلى «دِمَشْقَ» وتَبذُلوا له مِن وسائلِ العنايةِ والإكرامِ ما يَليقُ بمَقامِهِ.

ولَقيَ فخرُ الدّينِ **جَزاءَ حِلْمِه**. فما إنْ وصلَ الباشا إلى «الشّامِ» حتّى بادرَ إلى الاعْترافِ بسَيطرةِ الأميرِ على

تحامل على نفسه: أرغم نفسهُ على القيام بشيءٍ على مشقّةٍ.
يجثو: يركَعُ.
المُتهدّج: المتقطّعُ في ارتعاشٍ.
الجزاءُ: المكافأةُ.
الحِلْمُ: التّعقّلُ والتّروّي والصّبرُ.

سائرِ ألويةِ «فَلَسْطينَ»، بما فيها «غَزَّةُ» و«عَجْلونُ».
فامتدَّ مُلْكُه إلى «عَريشِ مِصْرَ» ولُقِّبَ بسُلطانِ البَرِّ.
وكانَ ذَلكَ سنةَ 1624.

قصة

مَوكبُ البؤسِ

كانَ أحدُ الملوكِ يَحكُمُ بلاداً غنيّةً كثيرةَ الخَيرِ، وكانَ مَشهوراً بالعدلِ والسَّهرِ على مَصالحِ السُّكّانِ.

في أحدِ الأيّامِ أرسلَ مَن يُنادي في النّاسِ قائلاً: إنَّ المَلكَ، رَغبةً منْه في التّرفيهِ عَنِ التّعبِ وإزالةِ **أسقامِهِ**، يُريدُ أنْ يَجتمعَ لدَيْهِ جميعُ التُّعساءِ والمتألِّمينَ والّذينَ أثقلَتْ نُفوسَهُمُ الهُمومُ والمَتاعبُ؛ لأنَّهُ يَرغبُ في مُداواةِ ذوي الهُمومِ، ومُعالجةِ المَرضى، وإسعادِ البائسينَ، ومُساعدةِ المَنكوبينَ والمَظلومينَ.

ما انتشرَ هَذا النِّداءُ في السُّكّانِ حتّى اجتمعَ في

الأسقامُ: الأمراضُ والعِلَلُ.

ساحةِ القصرِ أُلوفٌ مِن المُصابينَ في نفوسِهِم أو في أجسامِهِم: **خلائقُ** بائسةٌ مِن رجالٍ ونساءٍ، قدْ هبطَتْ مَلامِحُهُم، واسترْخَتْ شِفاهُهُم، وانحنَتْ ظهورُهُم مِن الهَمِّ، معَ أنَّ أكثرَهُم لم يُجاوزوا سنَّ الشَّبابِ.

وقفَ المَلكُ في هَذه الجماعاتِ المُحتشدةِ في قصرِهِ، وأعلنَ أنَّهُ هَيَّأَ لهُمُ الأطبّاءَ والحُكماءَ وعُلماءَ النَّفسِ ليُداووا أجسامَهُم وأرواحَهُم في آنٍ معاً. فكثيراً ما تَجتمعُ العِلّتانِ الجِسميّةُ والنَّفسيّةُ في شخصٍ واحدٍ، لأنَّ الواحدةَ تُولِّدُ الأُخرى. ثمَّ أضافَ أنَّهُ سيُشرِفُ هو بنفسِهِ على العِلاجاتِ، فيبحثُ معَ مُعاونيهِ عن العِلَلِ المُستعصيةِ. أمّا مَن كانَ أسوأَهُم حالاً فسيَتولّى أمرَهُ بنَفسِهِ.

عندَما بدَتْ إشارةٌ مِن المَلِكِ، أخذَ كُلٌّ مِن أولَئكَ التُّعساءِ يَشكو علّتَهُ لطَبيبٍ، أو لعالِمٍ، أو **للعَرّافِ** والكاهنِ. كانَ فيهِمْ فُقراءُ يَحتاجونَ إلى مالٍ أو إلى

خلائقُ: مخلوقاتٌ.

العرّافُ: المُنجّمُ.

مَسكَنٍ وغِذاءٍ، ومعالَجَتُهُم في مُنتهى السُّهولةِ؛ وكانَ فيهِمْ مَرضى مُزمِونَ نقلَهُمُ الأطبّاءُ إلى المُستشفياتِ و**المَصحّاتِ** ليَكونوا هناكَ قَيدَ المعالَجةِ الطّويلةِ.

وكانَ هناكَ ذَوو النُّفوسِ المثقَلةِ بالهُمومِ: أزْواجٌ بلا أولادٍ، ونساءٌ بلا أزْواجٍ: أَراملُ وفَتَياتٌ. فجَدَّ الأطبّاءُ في إيجادِ أَحدثِ العِلاجاتِ و**أَنجعِها** لشفاءِ المُصابينَ **بالعُقْمِ**؛ وحينَ خابَتْ مَساعيهِم قَدَّموا لهُم عدداً مِنَ الأطفالِ على سَبيلِ الهدايا. و**انتُدِبَ الوُسَطاءُ** لإيجادِ أَزْواجٍ لأولَئكَ الّذينَ جَفَّتْ نفوسُهُم مِنَ الوَحدةِ، نساءً كانوا أمْ رجالاً.

واهتمَّ المَلكُ بمُواجهَةِ ذَوي العِلَلِ المُستَعصيةِ، فدعاهُم ليَقتَرِبوا مِنْه.

المصحّاتُ: مفردُها المصحُّ وهو موضعُ الصّحّة حيثُ يوضعُ المريضُ ليستعيدَ صحّته

نجعَ العلاجُ: نفعَ وشفى.

العُقمُ: عدمُ القُدرة على الإنجاب، عند المرأة أو الرّجُل.

انتدبَ فلاناً: اختاره لينوبَ عنه ويمثّلَه في مَهمّة

الوُسطاءُ: مفردُها الوسيطُ وهو الّذي يتوسّطُ بين فريقَين للمساعدة على حلِّ مُشكلة

تقدَّمَتْ فتاةٌ هزيلةٌ **غائرةُ العَينَيْنِ** فقالَتْ:

- إنَّ دائِيَ، أَيُّها المَلكُ، لا دواءَ له. إنّي أُحبُّ فتىً لا يُحبُّني. وقدْ فَقدْتُ كلَّ أَملٍ في الحُبِّ وفي الوجودِ.

قالَ المَلكُ:

- سأجمعُ كلَّ رجالِ قَصري، لعلَّكِ تَجِدينَ في أَحدِهِم عِوضاً مِن الّذي تُحبّينَ.

قالَتْ:

- لا أستطيعُ أنْ أُحبَّ سِواهُ.

قالَ المَلكُ:

- عِلاجُكِ سَهلٌ هَيّنٌ أيَّتُها الفتاةُ. ستُقيمينَ في القصرِ، وسنَسْقيكِ مِن عُشبةِ النِّسيانِ، فإمّا أنْ تَنسَيْ حبَّكِ، أو تَجدَ لكِ ممّنْ تُحبّينَ بديلاً.

وتَقدَّمَ مِن المَلكِ **كَهْلٌ** بَدينٌ، ضخمُ الشَّفتَيْنِ، **زائغُ النَّظراتِ**، وقالَ:

عارت العينُ فهي عائرةٌ: غرقَتْ داخِل محجرِها.

الكهلُ: من عُمرُهُ بين الثّلاثين والخمسينَ.

راغتِ النّظراتُ: كَلّتْ وضعُفتْ.

ـ إنَّ دائِيَ، أيُّها المَلكُ، هو **الجَشَعُ**. إنَّ لَديَّ أكداساً مِن الذَّهبِ والفضّةِ و**النّفائسِ** والحُلِيِّ. وأَراني كُلّما ازدَدْتُ مالاً ازدَدْتُ **شَرَهاً** ورَغبةً. فلَوْ جُمعَتْ لي أموالُ الدُّنيا بأَسرِها لَم يَزِدْني ذلكَ إلّا حِرصاً على المالِ وطَلَباً له. إنَّ نارَ الشَّهوةِ تأكلُ أحشائي.

قالَ المَلكُ:

ـ ستَضَعُ الحكومةُ يدَها على أموالِكَ، وتُنفِقُ نِصفَ دَخلِكَ كلَّ سنةٍ على تحسينِ الأحوالِ العامّةِ. فتُعطي مِنْه للباحثينَ في المختبراتِ، والعاملينَ في الحقلِ الاجتماعيِّ، وللمُستشفياتِ وبيوتِ العَجَزَةِ والمدارسِ ومَراكزِ الإسعافِ ودورِ الثّقافةِ والأَنْديةِ الرّياضيّةِ، وسائرِ المشاريعِ العامّةِ. فأنتَ تَجمعُ مِن ناحيةٍ، ونحنُ نُنفِقُ مِن ناحيةٍ أُخرى. وكلّما **أَمعنْتَ** في الجَمعِ أمعنّا

الجشعُ: الطَّمعُ.
النّفائسُ: الأشياءُ النّفيسةُ أي الغاليةُ الثّمينةُ.
الشَّرهُ: الميلُ الشّديدُ إلى الطّعام.
أمعنَ في الأمر: أبعدَ وبالغ.

نحنُ في الإنفاقِ، لعلّكَ **ترْعَوي** أو ترْتَوي.

وتقدّمَتِ امرأةٌ **مُشعَّثةُ** الشَّعرِ، بارزةُ الخدَّينِ، **مغضَّنةُ** الجبينِ، وقالَتْ:

- إنَّ دائِيَ هو البُغضُ. أعيشُ في قومٍ أكرهُهُم، وأكرَهُ قَومي لأنَّهُم أزْوَجوني بِمَن أكرهُ. إنَّ نارَ الحِقدِ ترْعى قلبي حتّى أصبحْتُ أكرَهُ البشرَ وأوَدُّ سَحْقَهُم.

قالَ المَلكُ مُبتسِماً:

- لقدْ وُلِدْتِ في بيئةٍ نَقمةٍ وشقاءٍ **نَضَبَتْ** فيها مياهُ الألفةِ والصَّداقةِ. أنْتِ في حاجةٍ إلى غِذاءٍ روحيٍّ تستمدّينَهُ مِن قلوبٍ نقيّةٍ غيرِ ملوَّثةٍ **بأدرانِ** الشَّهوةِ والطَّمعِ. سنَضَعُكِ في مدرسةِ أطفالٍ تَفيضُ قلوبُهُم نَقاوةً، فتُشيعُ رِفقَتُهُم في نفسِكِ هُدىً وطُمأنينةً.

تقدَّمَ بعدَئِذٍ رَجلٌ مُحدَوْدِبُ الظَّهرِ، كثيفُ

ارْعوى: كفَّ وامتنَعَ.
المُشعَّثُ: المُغبَرُّ المتلبِّدُ.
المُغضَّنُ: المُجعَّدُ.
نضَبَ: جفَّ.
الأدرانُ: الأوساخُ.

الحاجبَيْنِ، قدْ حَفرَ الشّقاءُ في وجهِهِ حُفَراً بَليغةً فوَقفَ أمامَ المَلكِ وقالَ:

ـ ارْفُقْ بي يا سَيّدي. أَعِنّي بِميتةٍ تخلّصُني مِن عَذابي. ها قدْ مَضى عليَّ عِشرونَ سنةً وأنا فريسةُ النّدمِ وعَذابِ الضّميرِ.

سألَهُ المَلكُ:

ـ ما خَطْبُكَ؟

فأجابَ الرّجلُ بصَوتٍ مُتهدّجٍ:

ـ لقَدْ قتلْتُ ابنيَ الوحيدَ. وقفْتُ حاجزاً في سبيلِ سعادتِهِ. كنْتُ فظّاً أنانيّاً جَشِعاً. مَنعْتُ عَنْه الفتاةَ الّتي أَحبَّها، فقتلَهُ اليأسُ.

قالَ المَلكُ:

ـ دواءُ الأنانيّةِ البَذْلُ. سوفَ نجعلُكَ رسولَ خيرٍ في بعضِ القُرى النّائيةِ عَنِ المَدنيّةِ والعُمرانِ. تَبُثُّ

الخطْبُ الأمرُ العظيمُ المكروهُ.
متهدِّجٌ متقطِّعٌ في ارتعاشٍ.
الفظُّ العنيفُ السّيِّئُ الخُلقِ، الخَشِنُ الكلام.

فيها رسالةَ العِلمِ والنّورِ، وتَسعى لتأليفِ القلوبِ، وتحريرِ النّفوسِ مِن وطأةِ التّقاليدِ الجائرةِ وظُلمِ **الطُّغاةِ** والمُستبدّينَ على شاكِلَتِكَ.

وفيما المَلكُ يتكلَّمُ إذْ برزَ مِن بَينِ الجمهورِ رَجلٌ قصيرُ القامةِ، مُنتفِخُ الخدَّيْنِ، مُسترخي الجفنَيْنِ، رأسُه في حَركةٍ مُستمرّةٍ كأنَّهُ لا يستطيعُ الاستقرارَ بَينَ كَتِفَيْه.

ألقى علَيْهِ المَلكُ نظرةً فاحصةً وقالَ:

ـ وأنتَ أيُّها الرّجلُ، أيُّ **وِزرٍ** يُثقِلُ ظَهرَكَ؟

ـ لا أدري يا مَولايَ. إنَّ في نَفسي قَلقاً، وفي صَدري لهيباً **وظَمأً**. إنّي مُصابٌ **بالأرَقِ** وانهيارِ الأعصابِ، ولطالَما سعَيْتُ لإيجادِ دواءٍ فلَمْ أنجحْ.

قالَ المَلكُ:

ـ تعالَ حدِّثْني عَن ماضيكَ. اعترفْ لي بما جَنَيْتَهُ

الطُّغاةُ: الظّالمونَ.
الوِزْرُ: الحِملُ الثّقيلُ.
الظّمأُ: العَطشُ.
الأرقُ: عدمُ القُدرةِ على النّومِ، السُّهادُ.



مِن ذنوبٍ، لعلَّ في هذا ما يُخفِّفُ أَلَمَكَ.

- كيفَ أَعترفُ أمامَ هَذا الجمعِ يا سيّدي؟

- حَسَنٌ. سَنَصْرِفُهُم.

وصفَّقَ المَلكُ بيدَيْهِ فانصرفَ الحُضورُ، وبَقيَ الرَّجلُ وحدَهُ أمامَ المَلِكِ. فقالَ له المَلكُ:

- تكلَّمْ. إنّي مُصغٍ إِلَيْكَ.

وبدأَ الرّجلُ قصّتَهُ فقالَ:

- إنّي أَنتمي إلى أُسرةٍ **عَريقةٍ** في مَدينتي. وقَدْ خطرَ لي أَنْ أَستغلَّ الاِسمَ الّذي أَحمِلُهُ، وطمحَتْ نَفسي إلى السُّلطانِ. أَردْتُ أنْ أكونَ زعيماً في قَومي وحاكماً في مَدينتي، فاتَّخذْتُ لي أَعواناً استَمَلْتُهُم إِليَّ بالرّشوةِ والوُعودِ، فأَصبحوا لي عَبيداً **أَرِقّاءَ**، آمُرُهُم فيُطيعونَ. ولمّا **استَتَبَّ ليَ الأمرُ** تمادَيْتُ في **الغيّ** والاِستبدادِ. ولَم

عَريقة: ذاتُ أصلٍ كريمٍ.

الأرِقّاءُ: المَملوكونَ المُستعبَدونَ.

استتبَّ الأمرُ: استقرَّ واستمرَّ.

الغيُّ: الضَّلالُ.

أَتورَّعْ مِن نَهبِ أموالِ الشَّعبِ لأُورِّعَها على أعواني وأَحِصّائي، ولَم أخشَ **التّنكيلَ** بِالضُّعفاءِ، وإنزالَ العُقوباتِ بالأَبرياءِ لأُرضيَ الأقوياءَ الّذين **استظهَرْتُ** بِهِم. وظلَّ هذا **دَأبي** حتّى أصابَني داءٌ غريبٌ وصِرتُ كما تَرى.

فقطَّبَ المَلكُ حاجبَيْهِ وقالَ:

ـ قليلٌ هو جَزاؤكَ بالقياسِ إلى **فَداحةِ** جُرمِكَ، أيُّها الرَّجلُ. بَينَ زُملائكَ الشّاكينَ مُجرمونَ، لَكنْ ليسَ في جرائمِهِم ما يُعادِلُ جُرمَكَ... هَذا الّذي تقدَّمَكَ في الاعترافِ قتَلَ نفْساً واحدةً، أمّا أنْتَ فقدْ قتلْتَ شعباً بكاملِهِ، لأنَّكَ أفسدْتَ بعضَهُ **فزيّنْتَ لهُمُ** الشّرَّ وتعاونْتُم معاً على الفَسادِ، وظلمْتَ البعضَ الآخرَ فأَذْلَلْتَهُم

تورَّع: تحشَّ.
التّنكيلُ: التّصرُّفُ بقسوةٍ يجعلُ من المُنكَّلِ به عبْرةً لغيْره.
استظهر بفلانٍ: استعان به.
الدّأبُ: العادةُ والسّلوكُ.
الفَداحةُ: الضّخامةُ والصّعوبةُ والثّقَلُ.
زيّنَ له الأمرَ: صوّرَهُ له بصورةٍ إيجابيّةٍ مُعجبةٍ.

وسَحقْتَ نفوسَهمُ وجعلْتَهُم أحياءً كالأمواتِ. وأرى أنْ لا دواءَ لكَ عِندي سِوى السِّجنِ، واحتمالِ الأَسى وعذابِ الضّميرِ.

أنهى المَلِكُ عَرْضَ موكِبِ البؤسِ. وجلسَ يَستريحُ، وهو يفرُكُ يدَيْهِ مَسروراً، ظَنّاً أنّهُ قدْ ضَمِنَ لِشَعبِهِ الرّاحةَ وحرَّرَهُ مِن آلامِهِ. ولَكِنْ ما كادَ يَستقرُّ به المَقامُ حتّى سَمِعَ هاتفاً يقولُ له:

- أتَظُنُّ، أيُّها المَلِكُ، أنّكَ وُفِّقْتَ إلى مَحْوِ البؤسِ مِن بلادِكَ؟ إنَّ أسْوأَ العُيوبِ العُيوبُ الخفيّةُ. وأسْوأُ النّاسِ حالاً بائسٌ لا يُعلِنُ بؤسَهُ. و**أحراهُم** بالإشفاقِ مظلومٌ لا يَشكو ظُلمَهُ، يَقبلُ **الغَبنَ** و**الإرهاقَ** وهوَ ساكِتٌ جهلاً أو خَوفاً أو كِبْراً... لَقدْ سَمِعْتَ شَكاوى النّاقمينَ والثّائرينَ على أوضاعِهِم، وبَقِيَ أنْ تعرِفَ أحوالَ الّذين لا يَشْكونَ...

أحراهُم: أحقُّهم وأجدَرُهُم.
الغَبْنُ: الخديعةُ في البيعِ والشّراءِ، انتقاصُ الحقِّ.
الإرهاقُ: التّعبُ الشّديدُ.

وحارَ المَلكُ في مَصدرِ الصَّوتِ، وهَمَّ بالبحثِ عَنْه. ثُمَّ غلبَهُ النّعاسُ لشِدّةِ التّعبِ، فنامَ وهو يحلُمُ بما قالَهُ صاحبُ الصَّوتِ الخَفيِّ.

فصل

فـي الـقـطـارِ

القِطارُ يَزحفُ مُتباطئاً، رتيبَ الحركةِ، مجتازاً السّهلَ اللّومْبَرْدِيَّ الأخضرَ الفسيحَ الّذي تَخترقُه الطُّرُقُ طولاً وعَرضاً، فتَقْسِمُه إلى مربَّعاتٍ شبيهةٍ بمربَّعاتِ الدّاما. وتَهُبُّ مِن ناحيةِ جبالِ «الأَلْبِ» نَسَماتٌ مسائيّةٌ باردةٌ فَوقَ الأعشابِ والأشجارِ، فتَسري فيها رِعشةُ السّرورِ.

إيناسُ في مَقعدِها تَستسلِمُ لِسِحرِ الحركةِ والهديرِ، وعَيناها لا تُفارقانِ زجاجَ النّافذةِ. لأوّلِ مرّةٍ في حياتِها تَختبرُ سفرَ القِطارِ، تُحسُّ اهتزازَهُ الإيقاعيَّ المُخدِّرَ

اللّومْبَرْدِيّ: نسبةً إلى مَنطقةِ «لومْبَرْدِيا» في شِمالِ «إيطاليا»، وعاصمتُها «ميلانو».

كحركةِ السّريرِ الّتي تُغري الطّفلَ بالنّومِ. حدَّثَتْ رفيقَها في المَقعدِ المُواجِهِ عَمّا يُثيرهُ فيها القِطارُ مِن أَحاسيسَ، فَلَمْ يَفْقَهْ مِن حديثِها شيئاً؛ لكِنَّ الرّفيقَ الآخَرَ الّذي جلسَ بجانبِ النّافذةِ يُطيلُ النّظرَ إلى السّهلِ والأُفقِ، هَذا الشّابَّ الدّقيقَ الملامحِ، أَصغى إِلَيْها بابتسامةٍ، ثُمَّ قالَ بعبارةٍ فَرنسيّةٍ رقيقةٍ:

- تَتكلّمينَ مثلَ شاعرةٍ. هلْ مارسْتِ بعضَ الفُنون؟

- لا. قالَتْ بارتباكٍ، إِلّا الرّسمَ قليلاً.

- وَيْهَ. التّصويرُ مِهْنتي.

- لا شَكَّ أَنَّكَ تَقصِدُ «سويسْرا» لأخذِ بعضِ المَناظرِ.

- تماماً. وأَنْتِ؟

- للتّرويحِ عَنِ النّفسِ.

أَخذَ يحدِّثُها بحماسةٍ عَنِ الألوانِ الّتي يُحبُّها: إِنَّهُ أَقربُ إِلى الانْطباعيّينَ مِنْهُ إِلى مَدرسةِ الرَّسمِ الحديثِ،

فقِه: فهِمَ وعلم.

وَيْه: كلمةُ إغراءٍ وتحريضٍ و ستحثاثٍ

يصوِّرُ الطّبيعةَ نابضةً بالحياةِ والشّعورِ. كلُّ زهرةٍ، كلُّ ورَقةٍ، حتّى الصَّخرُ، كلُّها تَنطِقُ وتُعبِّرُ. ولَكِنَّهُ لا يَقتصِرُ على المناظرِ الطّبيعيّةِ، بلْ يَميلُ أَيضاً إِلى الوُجوهِ المعبِّرةِ.

هلْ يَبيعُ كثيراً مِن لوحاتِهِ؟ طَرحَتْ عليْهِ هَذا السّؤالَ، فأجابَ بكلِّ بساطةٍ إنَّه يَبيعُ قسماً مِنْها، ويَحتفظُ بالقسمِ الآخَرِ لنَفسِهِ ولأصدقائِهِ الأَقْربينَ. مَن هُم؟ زُمَلاءُ يحبُّهُم، وأَصدقاءُ يَثِقُ بهِم. لَكِنَّهُ يَعتمدُ في معاشِهِ على دخلٍ تركَتْهُ له أمُّه العزيزةُ قبلَ وفاتِها. أمّا أبوهُ فقدْ تزوَّجَ امرأةً أُخرى وأَهمَلَهُ.

هَذا مُجمَلُ حديثِهِ إِلَيْها. كانَ حديثاً طويلاً أَصغَتْ إِلَيْهِ كأنَّها تُصغي إِلى إِنسانٍ تَعرِفُه مُنذُ عَهدٍ بعيدٍ، مُنذُ حَداثتِها. ومعَ أنَّها تكادُ لا تَعرفُ شيئاً عَن فنِّ التّصويرِ، استطاعَتْ أنْ تفهَمَ كلَّ ما قالَ. فقدْ تحدَّثَ بمُنتهى البساطةِ، ورُبَّما فعلَ هذا عَمْداً لإفهامِها. كانَ يَودُّ مُواصلةَ حديثِهِ لولا صفيرُ القطارِ، وانهماكُ الرُّكّابِ بجَمعِ أَمتعتِهِم وتَهْيئةِ جوازاتِهِم. وأَدهشَها أنَّهُ أَفرغَ

أمامَها كلَّ ما في صدرِهِ، مِن غَيرِ أنْ يَسألَ مَن هِي ومِن أينَ أتَتْ. حتّى اسمُها لَمْ يطلُبْ أنْ يَعرِفَهُ. لَكِنَّهُ حَرِصَ على أخذِ عُنوانِ الفُندقِ الّذي تَنزِلُ فيه. وقَبْلَ افتراقِهِما ناولَتْهُ بِطاقتَها ووَعَدَ بأنْ يأتيَ لزيارتِها.

كَمْ عُمرُه؟ يَبدو أنَّهُ دونَ الثّلاثينَ. رَبْعةٌ، مُمتلئُ الجِسمِ، غَزيرُ الشَّعرِ يَتدلّى مِنْه خُصَلٌ كَسْتنائيّةٌ فوقَ جبينٍ مُشرِقٍ عريضٍ، في تقاطيعِ وَجهِهِ وجسمِهِ جَمالُ التّماثيلِ، جَمالُ المَنحوتاتِ الّتي يَصنعُها الإيطاليّونَ، يَنقلونَ خُطوطَها عَن شُبّانِهِم وشابّاتِهِم. إنَّهُم شعبٌ عريقٌ في الجَمالِ وفي الفنِّ، فلا عَجَبَ أنْ يَكثُرَ فيهِم الفنّانونَ.

لقدْ ألهاها حديثُه عَن كلِّ شيءٍ. لَمْ تُلاحِظ المسافِرينَ ووجوهَهُمُ الغَريبةَ. لَم تُصِبْ إلّا لَمَحاتٍ مِنَ الجبالِ الشّاهقةِ الّتي اخترقَها القطارُ، وقدْ كَسَتْها

الرَّبْعةُ: المتوسّطُ القامة (تُستعملُ للذّكر والأنثى).
الشّاهقةُ: العاليةُ جدّاً.
كسَتْها: غطّتْه.

الأشجارُ الباسقةُ، فبدَتْ في ظلِّ المساءِ، قاتمةَ اللّونِ حتّى السّوادِ، كأنَّها شُموعٌ عِملاقةٌ، عظيمةُ الجوانبِ، مُسْتدِقّةُ الرّؤوسِ، مُتطاوِلَةٌ نَحوَ السُّحُبِ.

حينَ استَلْقَتْ على فراشٍ وَثيرٍ، في فُندقٍ مِن الدّرجةِ الأولى، سرَتْ في جِسمِها رِعشةُ بَردٍ مُنعش. وما لَبثَ الدّمُ أنْ جَرى في عروقِها حارّاً نشيطاً مُتدفِّقاً. إنَّها ما زالَتْ تحتَ تأثيرِ الرّحلةِ المُمتعةِ في القطارِ. أو لعلَّهُ المُناخُ الّذي يَقصِدُه طُلّابُ العافيةِ، فإذا هو بَينَ أَيديهِم كماردِ الخاتَمِ، يأمرونَهُ فيُطيعُ.

أفاقَتْ في ساعةٍ مُتأخِّرةٍ مِنَ الصّباحِ التّالي، بعدَ نومٍ هانئٍ عميقٍ. وسَمعَتْ وَقْعَ أقدامٍ تَقتربُ مِن غرفتِها، يَليها قَرعٌ خفيفٌ على البابِ. ثُمّ دخلَتِ الخادمةُ تَحمِلُ إلَيْها طبَقَ الفَطورِ، ولفَتَ نظرَها في جانبٍ مِنْه بطاقةُ زيارةٍ. إنّهُ هو، صديقُها المصوِّرُ الّذي كانَ لِقاؤها إيّاه حُلماً عابراً، لا يُجاوِزُ بابَ القطارِ. لَقدْ عادَ ليُجدِّدَ الحُلمَ، أو ليُواصِلَ الحديثَ ولَم يَمضِ على انقطاعِهِ سِوى ليلةٍ واحدةٍ.

مستدِقّة: دقيقةٌ غيرُ عَبيطةٍ

كانَ يَحمِلُ اثنتَيْنِ مِن لوحاتِهِ المفضَّلةِ. كِلْتاهُما متوسّطةُ الحجمِ، مَرسومةٌ بالألوانِ المائيّةِ، تُمثِّلُ مَنظراً عادياً. سألَها أَنْ تختارَ إِحداهُما فاختارَتْ مِن غَيرِ تَردُّدٍ، كأنَّها تَعرفُ صاحبَها مُنذُ سِنينَ. وشَكرَها على قُبولِ الهديّةِ. ولَم تسأَلْهُ عَنِ الثَّمنِ لأنَّها خافَتْ إِغضابَهُ. أَنفقَ عِندَها ساعةً كاملةً في الحديثِ عَن لَوحاتِهِ، أو مُصغياً إلى ملاحظاتِها وانتقاداتِها، معَ أنَّها لمْ تكُنْ في رأيِها ذاتَ قيمةٍ. وجدَّدَ زيارتَهُ لها كلَّ يومٍ. كانَ يأتيها بلوحاتٍ جديدةٍ، ويسألُها اختيارَ لوحةٍ أُخرى، فامتنعَتْ. ورافقَتْهُ مرّةً إلى إحدى الغاباتِ **الوارفةِ** الظِّلالِ حيثُ جلسَ يَرسُمُ، وجلسَتْ تَتأمَّلُ. وفي ظلِّ السّكونِ المخيِّمِ الّذي أَضفى على الغابةِ **جَلالَ** المَعابِدِ القديمةِ، رأَتْـهُ يَحتو أمامَها كما يَجتو المُصلّي أمامَ تمثالٍ مَعبودٍ، ويبوحُ لها بحبِّهِ، راجياً مِنها أنْ تُصبِحَ رفيقةَ حياتِهِ لأنَّهُ لَن يَجدَ سعادةً إلّا بقُرْبِها.

الوارفةُ: الممتدّةُ، المُتّسعةُ.

الجلالُ: العظمةُ



لأوّلِ مرّةٍ في حياتِها تَذوقُ رِعشةَ إِحساسٍ **مُبهَمٍ**. خُيِّلَ لها أنَّ قلبَها يكادُ يَثِبُ مِن صدرِها، وأنَّ سِلكاً كهربائيّاً يمتدُّ منه إلى قلبِ الفَتى الجاثي عندَ قدمَيْها. وانعقدَ لسانُها فلَم تستطِعِ الكلامَ. ومرّتْ بُرهَةٌ طويلةٌ كالدّهرِ قبلَ أنْ تُفيقَ مِن **ذُهولِها** لِتطلُبَ إِلَيْهِ أنْ يَنهضَ ويُرافقَها إِلى الفُندقِ، لأنَّها تَعِبَةٌ.

نامَتْ تلكَ اللّيلةَ نوماً مُضطرِباً، على خِلافِ عادتِها مُنذُ دخولِها هَذا الفُندقَ الجميلَ. لقَدْ خلقَتْ لنَفسِها مُشكِلةً مِن غيرِ عِلْمِها. تركَتْ هَذا الشّابَّ الغريبَ يُحاولُ مُلازمتَها والتّقرُّبَ إِلَيْها. مهّدَتْ له سبيلَ الوقوعِ في حبِّها، وسُرعانَ ما طَلبَ إِلَيْها تحويلَ الصّداقةِ إِلى زواجٍ، فماذا تقولُ له؟

إِنّهُ لا يَعرفُ عَنها شيئاً سِوى اسمِها. لا رَيبَ أنّهُ **ساذَجٌ** أَعماهُ الحبُّ. كانَ علَيْهِ أنْ يسألَ عَنْها، أنْ

المبهَمُ: الغامضُ، غيرُ الواضحِ.
الذُّهولُ: الشّرودُ والغيبوبةُ.
السّاذَجُ: البسيطُ.

يَستكشِفَ ماضِيَها... يجبُ أنْ تَكتبَ إلَيْهِ، أنْ تَعترِفَ بكلِّ شيءٍ. وبماذا تَعترِفُ؟

إنَّ ماضِيَها صفحةٌ ناصعةُ البَياضِ، ستَسْرُدُها بلا خجلٍ بجميعِ تفاصيلِها. ستَقولُ كلَّ شيءٍ. إنَّها أرملةٌ زُوِّجَتْ، وهي فتاةٌ دونَ العِشرينَ، بكَهْلٍ **يُناهِزُ الخَمسينَ**. أكانَ اللَّومُ علَيْها حينَذاكَ؟ لقدْ كانَتْ **غريرةً** ساذَجَةً تَخشى إغضابَ والِدَيْها، وكانَ الزّوجُ رَجلاً مُكتمِلَ الرُّجولةِ، مُنتصِبَ القامةِ، عظيمَ الثَّروةِ، بَهَرَها بسيّارتِهِ الفَخمةِ وقَصرِهِ الكبيرِ؛ غَمرَها بالثِّيابِ والحِلى، **فتَهيَّبَتْهُ**، ومثَّلَهُ لها خيالُها الفَتيُّ جبّاراً مِن جَبابِرةِ العُصورِ القديمةِ، يُسَيطِرُ على النِّساءِ ويُخضِعُهُنَّ بإشارةٍ مِن يدِهِ. لَكِنَّها ما لبِثَتْ حتّى اكتشفَتْ **ضَلالَها**، **وهالَها** الفرقُ بينَ الواقعِ والخَيالِ: رأَتْ هوّةً سَحيقةً

ناهز الخمسين: قاربها.
الغريرةُ: الشّابّةُ لا تجرِبةَ لها.
تهيّب فلاناً: خافَهُ واتّقاهُ وحَذِرَهُ.
الضّلالُ: ضِدُّ الهُدى، الباطِلُ.
هالها: أخافَها، أفزَعَها.

تَفصِلُ بَينَها وبَينَ زَوجِها، وعلى رُغمِ ذلكَ بَقيَتْ له الزّوجةَ الأمينةَ الّتي تُواجِهُ الخَيبةَ بشجاعةٍ، تقومُ بالواجباتِ الّتي يَفرِضُها علَيْها زواجٌ رَضيَتْ به مُختارةً ولَم يُرغِمْها علَيْهِ أَحدٌ. وبالشّجاعةِ نَفسِها تُواجِهُ خَيبةً أُخرى: إنّها لَمْ تُرزَقْ أولاداً، ومعَ هذا قبلَتِ الحِرمانَ بِلا شَكوى، لأنّها تعلّمَتْ أنْ تَخضعَ للقَدَرِ حينَ لَمْ يكُنْ بُدٌّ مِنَ الخُضوعِ.

لَكِنّها لَم تكُن سعيدةً. وحينَ ماتَ الزّوجُ بعْدَ مرَضٍ طويلٍ تاركاً لها ثَروتَهُ الطّائلةَ، شعرَتْ بانفراجِ السّجينِ الخارجِ مِن سجنِهِ.

طلبَتِ السّياحةَ للتّنفيسِ وتَبديلِ الجوِّ، وما كانَتْ تَدري بأنّ مفاجأةً عُظمى تَنتظرُها. لَقَدْ وجدَتْ فَتى أحلامِها، الرَّجلَ الّذي لَمْ تعرِفْهُ إلّا في الخيالِ، الرّجلَ الّذي يحبُّها لنَفسِها لا لِصِباً أو مالٍ، لأنّهُ لَم يعرفْ شيئاً عَنها. حُلمُها الدّفينُ يُصبحُ حقيقةً، يتَمثّلُ لها بَشَراً سَويّاً

الصِّبا: صِغَرُ السِّنِّ.
الدّفينُ: المدفونُ المَستورُ.
الإنسانُ السّويُّ: المُستقيمُ الخَلْقِ الّذي لا عيبَ فيه ولا مرَض.

يَدعوها إلى مُشاطرتِهِ لَذّاتِ العَيشِ ومَباهِجَهُ. ما همَّها أنْ يكونَ أصغرَ مِنها سنّاً؟ فما زالَ في وجهِها بقيّةُ **نَضارةٍ** تَخدعُ النّاظرينَ وتُخفي عَنْهُم حقيقةَ عُمرِها. لقدْ بَسَمَ لها الحظُّ بعدَ **جَفاءٍ**... إنَّ شعوراً عامراً يَجتاحُ كِيانَها ويَخلُقُ مِنها كائناً جديداً. إنَّها تَوَدُّ أنْ تَرتمي في أحضانِ السّعادةِ ارتماءً جُنونيّاً. أَلَيسَ مِن حقِّها أنْ تَشربَ الكأسَ الّتي حُرِمَتْ شُرْبَها هَذه السّنينَ الطّويلةَ، وأنْ تَستَمْتِعَ بما لَدَيْها مِن **فِتنةٍ** باقيةٍ ومالٍ كثيرٍ؟

ولَكِنْ... مادا يَدري هَذا الشّابُّ مِن أَمرِها؟ يلوحُ أنّهُ إنسانٌ وحيدٌ يَطلُبُ أُمّاً تَحْنو علَيْهِ، لَكِنّهُ قدْ يُبدِّلُ رأيَهُ بعدَ قليلٍ ويَطلُبُ زوجةً لا أُمّاً. أَفتَجرُؤُ على مُصارَحتِهِ بحقيقةِ سنِّها؟ **وهَبْها** صارَحَتْهُ ولَم يأبَهْ للأَمرِ، أَفتَأمَلُ أنْ تُعطيَهُ سعادةً كاملةً وهي الّتي يَنتظِرُها ذبولٌ قريبٌ؟

النّضارةُ: الحُسْنُ والرَّونَقُ.
الجفاءُ: الإعراضُ والابتعادُ وعدمُ الاتّصالِ.
الفِتنةُ: مصدرُ الإعجابِ والاستمالةِ.
هَبْها: احسَبْها.

هلْ يَحتمِلُها في طَورِ الوَهْنِ والهُبوطِ كما احتملَتْ روجَها؟ ألا يُمكنُ له أنْ يَستفيقَ مِن حُلمِهِ ليَقولَ لها: «أربعونَ سنةً تجمَّعَتْ في وجهِكِ، **فاغرُبي عَنّي!**»

ومرَّتْ ببالِها صورةُ زوجِها، هَذا الّذي لَم يتورَّعْ مِنَ الزّواجِ بفتاةٍ تَصْغُرُه بثلاثينَ سنةً. لماذا تَخشى أنْ تفعلَ **نظيرَهُ**؟... إنَّها تُحبُّ هَذا الشّابَّ، تُحبُّه بكلِّ ما في نَفْسِها مِن قوّةٍ، فلا تُريدُ أنْ تَجنيَ علَيْهِ كما جَنى علَيْها روجُها. لقَدْ كانَتْ حياتُها حتّى الآنَ تَضحيةً وسُكوتاً وانطِواءً، فَلْتكُنْ هَكذا حتّى النّهايةِ. لقدْ ضحَّتْ مرَّةً أولى في سبيلِ إنسانٍ لا تُحبُّه، فلماذا لا تُضحّي الآنَ في سبيلِ مَن تُحبُّ؟

وهَكذا استقرَّ رأيُها على تركِ الفُندقِ في صباحِ اليومِ التّالي مِن غَيرِ أنْ تُعلِمَهُ برَحيلِها. وحينَ اتَّخذَتْ هَذا القرارَ شعرَتْ كأنَّ حِملاً ثَقيلاً انزاحَ عَن صدرِها. فنامَتْ ليلَتَها هادئةً. وفي الصّباحِ الباكرِ كانَ القطارُ

الوَهْنُ والوَهَنُ: الضَّعفُ في الأمرِ أو في البَدَنِ.
غَرُبَ عنه: ذهبَ وبعُدَ.
نظيرُهُ: مثلُهُ.

يَحمِلُها مرّةً أُخرى في اتّجاهٍ آخَرَ.

جلسَتْ وحيدةً، خاثِرةَ النَّفسِ، على أَحدِ مَقاعدِ الدَّرجةِ الأولى. ثمّ دخَلَتْ مَقصورتَها سيِّدةٌ أنيقةٌ، «مُبَرنَطَةٌ»، ذاتُ وجهٍ ضَحوكٍ وعَينَيْنِ بَرّاقتَيْنِ، يبدو مِن بياضِ شَعرِها وغُضونِ وَجهِها أَنَّها جاوزَتِ الخمسينَ، لكنَّ في حديثِها وحركاتِها مَرَحَ اللَّواتي لَم يُجاوِزْنَ العشرينَ.

حدَّثَتْ إيناسَ مِن غَيرِ انقطاعٍ، مُنتقِلةً مِن موضوعٍ إلى آخَرَ بسهولةٍ عجيبةٍ: تَطرَحُ السّؤالَ، ثمَّ تُواصِلُ الكَلامَ مِن غَيرِ أنْ تَنْتظِرَ جواباً، كأنَّها تَستبِقُ فِكَرَ جليسَتِها، أو تُحاوِلُ تَسليَتَها، مِن غَيرِ أنْ تُكلِّفَها عناءَ الجوابِ. وحينَ لَم يَبقَ لها شيءٌ تقولُه، سألَتْ رفيقتَها:

ـ هلْ حامَ حَولَكِ كثيرونَ مِن «الخَنافِسِ»؟

خَثُرَتْ نفسُ الإنسانِ: ضَعُفَتْ واضطربَتْ.

مُبَرْنَطَةٌ: لابسةٌ بُرْنَيْطَةً.

الخنافِسُ: مفردُه الخُنْفُسُ، وهي حشرةٌ سوداءُ صغيرةٌ كريهةُ الرّائحة، وهنا المَقصودُ الشُّبّانُ الفاسقونَ الفاسدونَ.

فاضطربَتْ إيناسُ وقالَتْ:

ـ ماذا تَعْنينَ؟

ـ جماعةٌ مِنَ الشُّبّانِ **المُتعطّلينَ**، **يَنتحِلونَ** الفنَّ والأناقةَ، يُلاحقونَ السّائحاتِ، يُمطِرونَهُنَّ **وابلاً** مِن عِباراتِ الحُبِّ والثّناءِ ليوقِعوهُنَّ في أَشْراكِهِم **ويَبتزّوا** أموالَهُنَّ.

ـ وكيفَ يَختارونَ **المُثْرياتِ**؟

ـ يَعتقدونَ أنَّ المرأةَ الّتي تُجابِهُ نفقاتِ السّياحةِ لا بدَّ أنْ تكونَ مُثْرِيَةً.

انقطعَ الحديثُ بُرهةً بَينَ المَرأتَيْنِ، حينَ شُغلَتِ السّيدةُ المُبَرْنَطَةُ بمُحادثةِ أحدِ موظّفي القطارِ. أمّا إيناسُ فحوَّلَتْ وجهَها صَوبَ النّافذةِ، وانصرفَتْ إلى مراقبةِ الجبالِ والأشجارِ. لَن يفوتَها هَذه المرّةَ شيءٌ

المتعطّلُ الّذي لا عمل له.

انتحلَ الفنَّ أو الشّعرَ ادّعاهُ لنفسه وهو لغيره.

الوابلُ المطرُ الشّديدُ.

ابتزّ منْه الشّيء سلبهُ قهراً.

المُثرياتُ الغنيّاتُ.

مِنَ المَناظرِ السّاحرةِ الّتي كانَتْ تَتوالى أمامَها. تريدُ أنْ تتملّى مِن هَذه الحَمالاتِ، أنْ تَعُبَّ مِنها كما تَعُبُّ الهواءَ الّذي حَولَها، أنْ تَرْسَخَ دقائقُها في ذِهنِها، لكَيْ تمحوَ ما سبقَها مِن صُورٍ، وتَنفردَ بمرافقتِها إلى حيثُ تَقصِدُ.

كانَ القطارُ يَزحفُ مُتمهّلاً، يُهَدهِدُها كأمٍّ تُهَدهِدُ طفلَها ليَنامَ.

قصة

صُندوقُ أُمِّ مَحفوظ

ـ أُعرِّفُكِ بجارتِنا أُمِّ مَحْفوظٍ: سيِّدةٌ وحيدةٌ، تُرحِّبُ بكُلِّ مَن تَرغبُ في مُجالستِها ومُشاركتِها في لَعِبِ الورقِ، لأنَّ ابنَها، مِن غَيرِ شرٍّ، يَغيبُ مُعظمَ النّهارِ.

هذا ما **فاهَتْ** به سَعْدى، جارتي الأُخرى الّتي كانَتْ تَقضي نهارَها في عملٍ مُتّصلٍ، نظيرَ المحكومِ علَيْهِم بالأشغالِ الشّاقّةِ. لا تَفرَغُ مِن غسلِ الثّيابِ حتّى **تَشْرعَ** في الطّبخِ، لتَنتقلَ مِنْه إلى التّنظيفِ والتّرقيعِ وسائرِ الأعمالِ الّتي تُرْهِقُ المرأةَ القَرَويّةَ. وسَعْدى قَرَويّةٌ متزوّجةٌ، وأُمُّ خمسةِ أولادٍ، فلَيسَ لها متّسَعٌ مِنَ الوقتِ

فاهَ بكذا: قالَهُ.

شرَعَ في الأمرِ: بَدأ.

لتَسميةِ أُمِّ مَحْفوظٍ. وكأنَّها بذاكَ الخطابِ تأمَلُ مِنّي، أنا الجارةَ الجديدةَ، أنْ أَقومَ مَقامَها بواجبِ حُسنِ الجِوارِ، لأنّي أَقلُّ مِنها انشغالاً.

نَظرْتُ إلى أُمِّ مَحْفوظٍ فشَعرْتُ نحوَها بانجذابٍ سريعٍ. كانَتِ امرأةً طويلةً، **ضامرةً**، قد جاوَزتِ السّتّينَ ولمعَ في رأسِها الصَّلَعُ، فأخذَتْ تُعالِجُ **بالحِنّاءِ** ما بقيَ فيه مِن شَعرٍ. وكانَ لونُ الصّباغِ يُلائمُ البريقَ الكَسْتنائيَّ في عَينَيْها، والبياضَ الصّافيَ في وَجهِها وجَبينِها. لكنَّ جاذبيَّتَها تَكْمُنُ في الابتسامةِ المُشِعّةِ الّتي عَصرَتْ وجهَها عَصراً، وفجَّرَتْ حَولَ فَمِها وعَينَيْها سُيولاً مِنَ البَسَماتِ.

جَلسْتُ بِجانبِها أُراقِبُ حركاتِها **المُتَّئدةَ** وهي تَجمعُ الورقَ ثمَّ تَخلِطُه مِراراً، فتَنشُرُه على الطّاولةِ أمامَها. ولَم يكُنْ بي رغبةٌ في اللّعِبِ، ولا سألَتْني أنْ

الضّامرةُ: الهزيلةُ القليلةُ اللّحم.
الحنّاءُ: نبتٌ يُتّخذُ ورقُهُ للصّباغِ الأحمر.
المتّئدةُ: البطيئةُ، المتمهّلةُ.

أَلعبَ. لكنّها قالَتْ وهي تَبتسمُ:

ـ أَقرأُ المُستقبلَ بالورقِ. إنّي أَعشَقُ هَذه اللُّعبةَ.

سألْتُها:

ـ ماذا تقولينَ؟

ـ أَقرأُ مُستقبلَ مَحْفوظٍ مِن غَيرِ شرٍّ. انْظري. هَذه هِي العروسُ الّتي سيَتزوّجُها. هَذه المِلكةُ الشّقراءُ الطّويلةُ الشَّعرِ. سأُبقي الورقَ كما هو، حتّى يَأتيَ ويَرى بعَيْنِه ما كَشفْتُ له مِن مُستقبلِه.

لَكنَّها انتظرَتْ، وانتظرْتُ معَها، ولَم يأتِ مَحْفوظٌ. ودقَّتْ ساعةُ الجِدارِ القديمةُ الثّانيةَ عَشْرَةَ، فاستأذَنْتُ بالِانْصرافِ.

عُدْتُ إلَيْها في اليومِ التّالي. كُنْتُ أَشعرُ بحَيَويّةٍ ونشاطٍ، لا رَيْبَ أنَّ مَصدرَهُما جوُّ القريةِ الّتي انتقلْتُ إلَيْها، أُسوةً بِكَثيرينَ مِثلي عَمَدوا إلى هَجرِ العاصمةِ الّتي أكلَتْ مِن أعمارِهِم شَطراً غَيرَ قليلٍ. فُتِنْتُ بهَذه المنازلِ

الرّيبُ: الشّكُّ.
أُسوةً: تمثُّلاً واقتداءً.

القديمةِ المظلَّلةِ بعرائشِ الكَرْمةِ، الشّبيهةِ بقِلاعٍ مُرتفعةٍ فوقَ **الأَقْبيةِ** والقَناطرِ المعقودةِ، تَصِلُها بالخارجِ سَلالمُ متينةٌ كالأبراجِ. راقَتْني صُحْبةُ القَرويّاتِ الصّريحاتِ كهواءِ أرضِهِنَّ. هُنا، في هَذه البيئةِ **الفِطْرِيّةِ**، سأَلْقى وُجوهاً غَيرَ مقنَّعةٍ، وأَسمعُ عِباراتٍ لا يَقصِدُ أصحابُها غَيرَ ما يقولونَ، فلا مَكانَ عِنْدهُم لِتمَلّقٍ والدِّعاياتِ.

قادَتْني أُمُّ مَحْفوظٍ هَذه المرّةَ إِلى **القاعَةِ**، أو غُرفةِ الاستقبالِ، العاليةِ السّقفِ، ذاتِ النّوافذِ الهائلةِ الحَجمِ. شَعرْتُ حينَ دُخولِها أنّي في مَعبدٍ خَيّمَ علَيْهِ السُّكونُ والرَّهبةُ؛ فقَدْ كانَتِ السّتائرُ الكثيفةُ المُنْسَدِلةُ فَوقَ النّوافذِ تَحجُبُ النّورَ إِلّا قليلاً، وكانَتْ رائحةُ القِدَمِ تَفوحُ مِنَ الأثاثِ والجُدرانِ.

لَم نمكُثْ طويلاً في القاعةِ المهجورةِ، إِذِ انْتقَلْنا إِلى الدّارِ حَيثُ المَقاعدُ القديمةُ المُحاذِيةُ للجُدرانِ

الأقبيةُ: مفردُها القَبْوُ وهو البناءُ المعقودُ بعضُه إلى بعضٍ.
الفطريّةُ: الطّبيعيّةُ.
القاعةُ: ساحةُ الدّارِ.

تَمتدُّ في خطٍّ مُستقيم، والطّاولةُ المستديرةُ المجلَّلةُ بغِطاءٍ مُخمليٍّ قدْ تكدَّسَتْ فوقَها جرائدُ ومجلّاتٌ تركَها مَحْفوظٌ هُناكَ للعَرْضِ أو لِلمُطالعةِ.

واصَلْنا التَّنقُّلَ حتّى بَلغْنا غرفةَ المؤونةِ. وإِذْ دخلْتُها انبعثَتْ في ذِهني ذكرياتٌ نائمةٌ: ذكرْتُ البيتَ الجَبليَّ الّذي كانَتْ تَسكنُهُ جَدّتي، تذكّرْتُ خزائنَها الّتي كانَتْ تَفتحُها كلّما ذَهبْنا لزيارتِها، فتَفوحُ مِنها رَوائحُ طيِّبةٌ، رَوائحُ الصّابونِ المَصنوعِ في بَيتِها، والصَّعْترِ، وماءِ الزَّهرِ. كانَتْ **زَنابيلُ** الزَّبيبِ والجَوزِ واللَّوزِ المَصفوفةُ فوقَ الرُّفوفِ تَملأُ قلوبَنا فرَحاً، وتُثيرُ فينا رَغبةً عارمةً في الهجومِ علَيْها. وكانَتْ جَدّتي تَحْزَرُ ما في رؤوسِنا فتَملأُ أيديَنا وجُيوبَنا **بحَفَناتٍ سَخِيّةٍ** مِن مُحتوياتِ زنابيلِها، ثُمّ تَدعُنا نَنطلقُ إلى الخارجِ، لنَلتَهِمَ تلكَ الأطايبَ ونُريحَها مِن **جَلَبَتِنا**.

الزَّنابيلُ: مفردُها الزَّبيلُ وهو القُفّةُ أو الوعاءُ.
الحَفَناتُ: مفردُها الحَفْنةُ وهي مُحتوى الكفَّيْنِ معاً.
سَخيّةٌ: كريمةٌ.
الجَلَبةُ: اختِلاطُ الأصواتِ، والصِّياحُ.



لَكِنّي قَنِعتُ مِن تلكَ الأطايبِ بالذِّكرى. فأُمُّ مَحْفوظٍ عجّلَتْ في الخروجِ مِن غَيرِ أنْ تَمدَّ إِلَيْها يداً، وسارَتْ بي إلى غُرفتِها، حيثُ وقفْتُ مُندهشةً أمامَ سريرٍ نُحاسيٍّ شامخٍ **كالهَوْدَجِ**، وخَزائنَ مَنحوتةٍ في الجُدرانِ، وصناديقَ مزخرَفةٍ، وتُحَفٍ أُخرى قديمةٍ مِن **مَسارجَ** قائمةٍ وصُوَرٍ وأيقوناتٍ تُغطّي الجُدرانَ. خطرَ لي أنْ أقولَ لها: «إنَّ غُرفتَكِ **محفوفةٌ** بالأَسرارِ»، ولَكنْ قطعَ عليَّ الكلامَ انفتاحُ الباب ودخولُ مَحْفوظٍ.

كنْتُ أَنتظرُ أنْ أَرى شابّاً وسيمَ الطَّلعةِ، متينَ العَضلاتِ، مِن صنفِ أبناءِ الجبلِ الأشدّاءِ. ولَكِنّي رأيتُ رَجلاً على عَتَبةِ الكُهولةِ، مستديرَ الكَتِفَينِ، **مترهّلَ الجسمِ**، قدْ غزا رأسَهُ الصَّلَعُ فلَم يَبقَ فيه سِوى شُعَيراتٍ حمراءَ. جلسَ معَنا عابساً، قليلَ الكلامِ،

الهَودَجُ: مَحمِلٌ له قُبّةٌ، كانَتْ تَركَبُ فيه النّساءُ.

المسارجُ: مفردُها المِسرجةُ وهي السِّراجُ الّذي تُشعَلُ فتيلتُه المغموسةُ بالزّيت أو نحوه.

محفوفةٌ: محاطةٌ.

ترهَّلَ الجِسمُ: استَرخى لحمُه وانتفخَ.

يُخيَّلُ للنّاظرِ إلَيْهِ أنّه يفكِّرُ في أُمورٍ خطيرةٍ. وما لَبِثَ أنِ اعتذرَ بأنَّهُ مشغولٌ، وفارَقَنا ليَختليَ في غرفتِهِ.

وما انْصرفَ حتّى اقتربَتْ مِنّي الأمُّ وأخذَتْ تُحدِّثُني بصَوتٍ خافِتٍ، وهِي تحرِّكُ يدَيْها بإشاراتٍ عَصبيّةٍ:

ـ لا **يُخامِرْكِ شكٌّ** في أنّي أَحسنْتُ تربيتَهُ. أرسلْتُه إلى أحسنِ المدارسِ. علّمْتُه اللُّغاتِ. هَل تَجدينَ فيه عَيباً؟ إنَّهُ لا يُدخِّنُ، ولا يَشربُ الخمرَ، ولا يُؤْذي أحداً. لا يَغضبُ، ولا يَرفعُ صَوتَهُ، ولا يَفوهُ بكَلِمةِ سوءٍ. يَتتبَّعُ رَغَباتي ويَحرِصُ على تنفيذِها.

ولماذا لا تُزوِّجينَهُ؟

فتنهّدَتْ وقالَتْ:

ـ هَذا هَمّي الوحيدُ. حُلمي الذَّهبيُّ الّذي لا يُفارِقُني لحظةً... ولَكِنْ لمْ يُسعِفْني الحظُّ بعدُ... لَم أجِدِ العروسَ المناسِبةَ... لقَدْ شُغِلْتُ مُنذُ سنواتٍ بالبَحثِ والتّفتيشِ عَن عروسٍ، في حينِ شُغِلَ مَحفوظٌ بالبَحثِ

خامَرَهُ الشّكُّ: داخَلَهُ.

عَن شُغلٍ. ظلَّ عدّةَ سِنينَ متعطِّلاً، قبلَ أنْ يَرضى بِأنْ يُمارِسَ وظيفةً سلَّمَهُ إيّاها ابنُ عمّهِ صاحبُ شِرْكَةِ الأَدْويةِ الكبيرةِ. إنَّهُ يقومُ بتوزيعِ أَدْويةِ الشِّرْكَةِ في قُرى الجبلِ، على رجاءِ أنْ يُصبِحَ يوماً ما طبيباً...

قُلْتُ مَبهوتةً:

ـ قدْ تكونُ هناكَ علاقةٌ بَينَ توزيعِ الأَدْويةِ ومِهنةِ الطِّبِّ، ولَكِنْ...

وتَوقّفْتُ عَنِ الكلامِ، إذْ دخلَتِ الخادمةُ العجوزُ تَحملُ صينيّةَ القهوةِ. وقفَتْ بجانبِ البابِ كالصَّنمِ، ولدى إشارةٍ مِن ربّةِ البيتِ تحرّكَتْ كالشَّبحِ، ورأيْتُ فيها قطعةَ أثاثٍ أُخرى يَكتمِلُ بِها أثاثُ البيتِ القديمُ.

أشارَتْ إلَيْها أُمُّ مَحْفوظٍ مرّةً ثانيةً، فخرَجَتْ وعادَتْ بغِلافٍ أفرغَتِ الأمُّ أمامي مُحتواهُ: مجموعةٌ ضَخمةٌ مِن صُوَرِ مَحْفوظٍ في طفولَتِهِ وفي حَداثتِهِ. ثمَّ قالَتْ، وهي تَبسُطُ أمامي الصُّوَرَ:

ـ كانَتْ فرْحةُ مَحْفوظٍ شيئاً لَم يَعرفْ مِثلَهُ أهلُ القريةِ. وزّعْنا المَغْليَّ على الجميعِ وعلى أهلِ القُرى

المحاورةِ. رُزِقَهُ الوالدُ على كِبَرٍ، فظَلَّ يَستقدمُ له المصوِّرينَ حتّى سنِّ العاشرةِ. أُصيبَ الولدُ بمرضٍ مفاجئٍ، ولِشدّةِ **جَزَعِ** الأبِ على ابنِهِ **دَهَمَتْهُ** حُمّى لَم تُمهِلْهُ أكثرَ مِن أسبوعٍ.

هُنا غلبَها التّأثُّرُ وهمَّتْ بالبكاءِ. فشَعرْتُ بأنّني قدْ حانَ لي أنْ أنصرفَ. وودَّعْتُها مؤكِّدةً أنّي سأعودُ في اليومِ التّالي.

وفي اليومِ التّالي وجدْتُها عابسةً، مُنقبِضَةَ المَلامحِ. دَعتْني لأوّلِ مرّةٍ إلى مُشاركتِها في لَعِبِ الورقِ. وفجأةً رأيْتُها تَنقلبُ إلى شخصٍ آخرَ: **تُكِبُّ على اللَّعِبِ** بجميعِ حواسِّها، تُراعي كلَّ حركةٍ تَصدرُ منّي، تُفتِّشُ كلَّ ورقةٍ أَربحُها. إذا أحسَّتْ أنَّ كفَّةَ اللَّعِبِ مالَتْ إلى جانبي، لاحَ في وَجهِها الغَيظُ وبدَتْ كالذِّئبةِ الجائعةِ الّتي تُريدُ تَمزيقي... يَظهرُ أنّها تَنقَمُ عليّ أمراً أجْهلُه،

الجزعُ: الحزنُ والإشفاقُ.
دهَمتْهُ: غَشيتْه وحلّتْ به فجأةً.
أكبَّ على الأمرِ: أقبَلَ عليْه وصَبَّ كلَّ اهتمامِه.

أو أنَّ غرامَها بِتَعبِ الورقِ فائقُ الحدِّ، فهي لا تَحتمِلُ الخَسارةَ، لِذا تُحاولُ السَّيطرةَ على الخَصمِ بإلقاءِ الاضطرابِ والوَهْنِ في نَفسِهِ.

ودخلَتِ الخادمةُ العجوزُ تطلُبُ مِفتاحَ القَبْوِ لتُخرِجَ مِنْه بعضَ الفحمِ، لأنَّها تُريدُ أنْ تَكويَ ثيابَ مَحْفوظٍ. **فانتهرَتْها** وأخذَتْ تَصيحُ:

ـ هَل دبَّ فيكِ الخَرَفُ، فنَسيتِ أنْ تقولي «مِن غَيرِ شَرٍّ»؟

الآنَ تذكّرْتُ أنّهُ سَبقَ لي ذِكرُ مَحْفوظٍ مرّتَيْنِ في مَعرِضِ كلامي مِن غَيرِ أنْ **أُردِفَ** اسمَهُ بالدُّعاءِ. أَيكونُ هَذا ما أثارَ حِقدَها وبدَّلَ مَوقِفَها مِنّي؟

قلْتُ أُحاوِلُ إرضاءَها:

ـ ألا تَرغبينَ في أنْ أُسعِفَكِ على إيجادِ عروسٍ لمَحْفوظٍ مِن غيرِ شرٍّ؟

فبَرقَتْ عَيناها بشكلٍ غريبٍ. لا أَدري أَبَريقَ الفرحِ

انتهَر فلاناً: زجَرَهُ أيْ طردَهُ صائحاً عليْه.
أرْدفَ: أتْبَع.

كانَ أمْ بَريقَ الفُضولِ. وأجابَتْ:

- اللهُ يكافئُكِ عَنّي. إنّي لا أجدُ في القريةِ فتاةً تُناسبُه. دَبّري لي واحدةً مِن «بيروتَ».

- حَتماً لا يُهِمُّكِ المَظهرُ الخارجيُّ. الأخلاقُ في الدّرجةِ الأولى.

- كيفَ؟ أُريدُها شقراءَ، طويلةً، خفيفةَ الحركةِ، حَيِّيّةً، حَسَنةَ الصَّوتِ. أُريدُها على ذَوقِكِ.

- على ذَوقي، ولَكِنْ لا تُكثِري مِنَ الشّروطِ.

- تَعالَيْ...

ثمَّ نهضَتْ وجذبَتْني مِن كُمّي وسارَتْ بي إلى غُرفتِها. هُناكَ أخرجَتْ مِن صَدرِها مِفتاحاً فَتحَتْ به صُندوقاً بجانبِ السّريرِ النُّحاسيِّ. كانَ في داخلِهِ ثيابُ عُرسِها مُنذُ أربعينَ سنةً أو أكثرَ: الإكليلُ الّذي ستَلْبَسُه زوجةُ مَحْفوظٍ، خاتَمُ زوجِها الّذي سيلْبَسُه مَحْفوظٌ، خاتَمُها الّذي ستَلْبَسُه العروسُ، عُقودٌ مِن زجاجٍ، أَساورُ فضّيّةٌ، **دَمالِجُ** وأَيقوناتٌ نُحاسيّةٌ، زخارِفُ

حيِيّةٌ: خجولةٌ.

الدّمالجُ: مفردُها الدُّملجُ وهو حَلْيٌ يُلبَسُ في المِعصَمِ.



وتَعاويذُ، فُستانٌ أبْيضُ حَريريٌّ، وأشياءُ أُخرى سيَلْبَسُها ابنُ مَحْفوظٍ الّذي لا يزالُ في ظَهرِ الغَيبِ.

سألْتُها:

ـ وبنْتُ مَحْفوظٍ؟ أليسَ لها ثيابٌ في الصُّندوقِ؟

ـ لماذا تُريدينَ لنا السّوءَ؟ أرجو أنْ لا تَلِدَ كَنّتي سِوى البَنينَ.

ثمَّ أمسكَتْ بيَدي:

ـ أُريدُ هَذا كلَّهُ سرّاً مَدفوناً في صَدرِكِ. لا تَذكُري لأحدٍ شيئاً مِن أَمرِ الصُّندوقِ، ولا مِن أَمرِ الفتاةِ الّتي تَختارينَها. ليَبقَ هَذا سرّاً بَيني وبَينَكِ. دَبِّري الفتاةَ، وسيكونُ عُرسُ مَحْفوظٍ مفاجأةً للجميعِ.

زُرْتُها بعدَ أيّامٍ برِفقةِ سَعْدى، فتعمَّدْتُ السُّكوتَ عَن موضوعِ الزّواجِ، ولَمْ يُتَح لي أنْ أَراها مُفردةً إلّا بعدَ أسابيعَ. وجاءَ ذِكرُ مَحْفوظٍ مُصادفَةً فقالَتْ:

ـ أما تَزالينَ على وَعدِكِ؟

التّعاويذُ مفردُها التّعويذةُ وهي رُقيةٌ تُكتبُ وتُعلّقُ على الإنسانِ لِتقيهُ من الجنونِ والعينِ.

ـ لا. لقَدْ غيَّرْتُ فِكري.

فحَمقَتْ في وَجهي وسألَتْ:

ـ لماذا؟

ـ أخافُ أنْ تكونَ الفتاةُ الّتي وقعَ علَيْها اختياري ضَخمةَ الأصابعِ لا تَستطيعُ لُبْسَ خاتَمِكِ. ولا رَيبَ أنّكِ تَتشاءمينَ مِن هَذا الأمرِ...

ـ ضَخمةَ الأصابعِ؟ يا ساترُ!

وتباعَدَتْ زياراتي لها، وطَويْتُ حديثَ ابنِها وزواجِهِ. لكنّ سَعْدى أثارَتِ الموضوعَ، ولا أَدري مَنِ الّذي أخبرَها أنّي أسعى لتزويجِ مَحفوظٍ، فأنكرْتُ هَذا بشِدّةٍ. وأضافَتْ سَعْدى:

ـ بيني وبينَكِ. لا أَظُنُّه يَتزوّجُ وأمُّه في قَيدِ الحياةِ. كلُّ ثَروةِ أبيهِ باسمِها، وهي الّتي تُنفِقُ علَيْهِ.

ـ تقولُ أمُّه إنّهُ سيُصبحُ طبيباً...

ـ مُنذُ سِنينَ يَدَّعي البحثَ عَن شُغلٍ، وأمُّه تَدَّعي البحثَ عَن عروسٍ. وفي ظَنّي أنْ سيَطولُ سَعْيُهُما إلى ما شاءَ اللّهُ...

جَرى هذا الحِوارُ بَيني وبَينَ سَعْدى أثناءَ رُجوعِنا مِنَ السّوقِ في صباحِ يومٍ مُشمِسٍ. لمَحْنا أُمَّ مَحْفوظٍ جالسةً في شُرفةِ بيتِها وقدْ بسطَتْ على طاولةٍ أمامَها ورقَ اللّعِبِ تَقرأُ فيه مُستقبلَها أو مُستقبلَ ابنِها. أشَرْتُ إلَيْها بالسّلامِ، وحيَّتْني بابتسامتِها المعسولةِ الّتي فُتِنْتُ بها يومَ لقيتُها أوّلَ مرّةٍ.

قصة

مغارةُ الميلاد

اقتربَ الأولادُ مِن جدَّتِهم وتَوَسَّلوا إلَيْها أنْ تَحكيَ لهُم إحدى قِصصِها ليُمكِنَهُمُ السَهرُ، حتّى تُدَقَّ أجراسُ العيدِ في ليلةِ الميلادِ.

واعتدلَتِ الجَدَّةُ في مَقعدِها، وبدأَتْ قِصّتَها، فقالَتْ:

- «كُنْتُ في الثّانيةَ عَشْرةَ مِن عُمري، في سِنِّ لِينَةَ تماماً، وأصغرَ قليلاً مِن مُنيرٍ، أَسكُنُ معَ والديَّ وأخي الأصغرِ بَيتاً في ضَواحي المدينةِ، قديمَ البناءِ، شديدَ الرّطوبةِ، تَضطرِبُ جُدرانُه عِندَ هبوبِ الرّيحِ، وتهتزُّ نوافذُه وأبوابُه الضَّخمةُ، فيُسْمَعُ لها دَويٌّ يُصِمُّ الآذانَ.

«كُنْتُ أجتازُ مِن حَداثتي تلكَ الأزْمَةَ النّفسيّةَ الّتي



تُوَجِّهُ فِكْرَ الفتاةِ نحوَ الدِّينِ، فتُثيرُ فيها الشّكوكَ حيناً مِنَ الزّمنِ، ثمَّ شيئاً مِن ردِّ الفعلِ يَصرِفُها إلى شِبْهِ تعبُّدٍ **صوفيٍّ** وولَعٍ بقهرِ الذّاتِ.

«وإذِ اقترَبَ عيدُ الميلادِ انهمَكْتُ في الاستعدادِ له بزَرعِ حَفَناتٍ مِن القمحِ والعدَسِ والفولِ في **صِحافٍ** صغيرةٍ، صَفَفْتُها على أعتابِ النّوافذِ. ورُحْتُ أَرقُبُ نُموَّ الأوراقِ النّحيلةِ الخضراءِ الّتي سأُزيِّنُ بها مغارةَ الميلادِ، وأُحسُّ في ألوانِها الزّاهيةِ دفءَ الرّبيعِ.

«عُدتُ في ذلكَ اليومِ مِنَ المدرسةِ وأنا أفكِّرُ في شُخوصِ المغارةِ وأدواتِها الّتي أخرَجْتُها مِن عُلبتِها القديمةِ في البيتِ السّابقةِ. وعاونَني أخي في تَهْيئَةِ مكانٍ لها، في زاويةٍ مِنَ **الرَّدْهَةِ** مُحاذِيَةٍ للنّافذةِ. ثُمَّ شرَعْنا في وضعِ الأساسِ وصُنْعِ الصُّخورِ الّتي تؤلِّفُ المغارةَ، بأنْ

الصّوفيُّ: المتعبِّدُ الّذي يلبسُ الصّوفَ في أشدِّ الأماكنِ حرّاً، بقصْدِ تعذيبِ الجسَدِ على حسابِ تطهيرِ النّفسِ.
الصِّحافُ: مفردُها الصَّحْفةُ وهي القَصعةُ أو الصّحنُ.
الرَّدْهةُ: أوسَعُ محلٍّ في البيتِ.

نُعلِّقَ إطاراً مِنَ الحجارةِ والأخشابِ بورقٍ رماديٍّ، ونُحدِثَ فيه تجاعيدَ توهِمُ النّاظرَ أنَّهُ صخرةٌ مجوّفةٌ. ألَم تَصنعوا مغارتَكُم هَكذا؟

«على أنَّ أمراً كانَ يَشغَلُ بالي في ذَلكَ الحينِ: ماذا أطلُبُ إلى الطِّفلِ يسوعَ ليلةَ الميلادِ؟ ماذا أكتُبُ في الورَقةِ الّتي سأضَعُها عِندَ قدمَيْهِ؟... أذكرُ جيّداً أنّني في العامِ الماضي طلبْتُ إلَيْهِ في تلكَ الرّسالةِ الصّغيرة أنْ يَجعلَني قليلةَ الكلامِ، لأنّي تألّمْتُ كثيراً مِن عَجزي عَن ضَبطِ لِساني، وأصابَني **مِن جرّاءِ** ذَلكَ المَصائبُ... وقَدْ نجحَتِ التّجرِبةُ. ورأيتُني مِن ذَلكَ الحينِ أكثرَ انضباطاً وأقلَّ رَغبةً في الثّرثرةِ... لقَدْ صدقَتِ المعلّمةُ في قولِها إنَّ ما نَطلبُه ليلةَ الميلادِ لا بُدَّ أنْ يُستجابَ... ولكِنْ... قالَتِ المعلّمةُ: «لا تكُنْ طِلْباتُكُنَّ أنانيّةً، ولا كثيرةً! طِلْبَةٌ واحدةٌ خيرٌ مِن اثنتَيْنِ!» يَعلَمُ اللهُ أنّي لَم أكُنْ أنانيّةً. فقَدْ كنْتُ مصمِّمةً على أنْ أطلُبَ شِفاءَ أخي مِنَ السُّعالِ

مِنْ جَرّاءِ كذا: مِنْ أجلِهِ، بسببِه.

المُزْمِنِ الّذي **يَنتابُه** كلَّ شتاءٍ. قالَ الطّبيبُ إِنَّهُ التهابُ **الشُّعَبِ**، أو مرضٌ آخَرُ مِن أمراضِ الصَّدرِ. داءٌ بسيطٌ، لَكنَّهُ لا يُشْفى بسُهولةٍ، بلْ يَحتاجُ إِلى تَغذيةٍ وتَغييرِ هواءٍ... ولَكِنْ أخذَتْ فِكَري تَتغيّرُ مُنذُ أنْ خاصَمْتُ تِلكَ الفتاةَ الشَّقيّةَ هَنا مِرْعي. حدَثَ بَيني وبَينَها خصامٌ حولَ كتابٍ استعارَتْهُ مِنّي وأعادَتْهُ ممزَّقاً. ولمّا أظهرْتُ **استيائي** وأردْتُ توبيخَها، أخذَتْ تَصيحُ في وَجهي غاضبةً وتَرميني **بقوارصِ الكلامِ**. ثمَّ حتمَتْ صِياحَها بقَولِها: «خَيرٌ لكِ أنْ تَسكُتي وتَخفِضي رأسَكِ، فأنا أَحسَنُ مِنكِ!».

«كانَ في **وِسْعي** أنْ أرُدَّ شتائمَها وأقولَ لها إنَّ أباها يَشتغلُ عاملاً في الأرضِ، وأمَّها طاهيةٌ في بيتِ أحدِ

يَنتابُهُ: يُصيبُهُ.
الشُّعَبُ الصَّدريّةُ: الرِّئةُ وما يَتفرّعُ منها من مَجاري التّنفُّسِ.
الاستياءُ: الشُّعورُ بالانزعاجِ والحزنِ والكُرْهِ.
قوارصُ الكلامِ: الكلامُ الجارحُ والمؤلمُ.
الوِسْعُ والوُسْعُ: القُدرةُ والطّاقةُ.

الوُجَهاءِ. لَكِنّي كُنْتُ عاهَدْتُ نَفسي على السّكوتِ والِانْضباطِ. وبينَما كُنْتُ أَرتجفُ مِنَ الغَيظِ والأَلَمِ أَخذْتُ أُفكِّرُ: ماذا تَعني هَذه الفتاةُ بقَولِها «أنا أحسَنُ مِنكِ»؟ أَعرفُ أنَّ بناتِ الأغنياءِ يَنظُرنَ إلَيْنا مِن **عَلُ** ويَطيبُ لهُنَّ **الكَيدُ** لنا وتَعنيفُنا مِن غَيرِ داعٍ. لَكِنَّ هَنا مِرْعي لَم تكُنْ غنيّةً...! لقدْ فهِمْتُ أخيراً!... ما أشَدَّ غباوَتي! إنَّها تَحتقِرُني لأنَّها بيضاءُ ممتلئةُ الوجهِ والجسمِ، في حينِ كنْتُ أنا هزيلةً سمراءَ، قليلةَ الحظِّ مِمّا يُسمّونَهُ جَمالاً... مِن ذَلكَ الحينِ شعرْتُ بشيءٍ مِنَ الذُّلِّ، وأَخذْتُ أُطيلُ النّظرَ إلى وَجهي في المرآةِ. وتُلِحُّ عليَّ فِكرةٌ جديدةٌ: لماذا لا أَطلُبُ إلى الطِّفلِ يسوعَ أنْ يَجعلَني جميلةً؟ أَيَحْسَبُ هَذا أنانيّةً؟ طِلْبةٌ واحدةٌ لا غَيرَ أُضيفُها إلى الأولى...

«كانَتْ هَذه **الفِكَرُ تُساوِرُني** وأنا مُنْشغِلةٌ بِصُنعِ

الوُجَهاءُ: مفردُها الوجيهُ وهو سيّدُ القَومِ وذو الجاهِ.
عَلُ: اسمٌ بمعنى فوقُ.
الكَيدُ: المَكرُ والخُبثُ والحيلةُ
ساوَرَتْهُ الفِكَرُ: جالَتْ في رأسِهِ وأحدَثَتْ به.

المعارةِ. فتعشى وَجهي الكآبةُ، وتَنصرفُ يَدايَ إلى العَملِ بحركةٍ محمومةٍ. وإذا بي أَسمعُ حواراً يَدورُ بينَ أَبي وأمّي في العرفةِ المجاوِرةِ للرَّدهةِ. وإذا بأَبي يَقولُ:

ـ لَقَدْ خاصَمْتُ اليومَ مُديرَ الشَّرِكةِ وقطعْتُ كلَّ أملٍ في **التَّرقيةِ**.

فصاحَتْ أمّي:

ـ ولماذا؟

ـ لَن أُعيدَ لكِ تفصيلَ ما حَدَثَ. لَكِنّي أعرِفُ شيئاً واحداً وهو أنّهُ عدَلَ عَن ترقِيَتي في مطلعِ السّنةِ الجديدةِ.

ـ أيَجوزُ له أنْ يَتصرَّفَ على هَواهُ ويَتلاعبَ بحقوقِ الموظَّفينَ؟

ولِمَ لا يَجورُ؟ أَتظُنّينَ أنَّ له ضميراً يَرْدَعُه؟

ـ مؤسِفٌ... إنّهُ يَظهَرُ دائماً شديدَ اللُّطفِ و**الإيناسِ**.

الترقيةُ: التّرفعُ في الوظيفة مِن رُتبةٍ إلى رُتبةٍ أعلى.
الإيناسُ: المُلاطفةُ والأُلفةُ.

ـ ما أكثرَ اللُّطفَ الّذي يُخْفي تحتَهُ خُبثاً ورياءً، قالَ أبي مُتنهِّداً.

«وتنهّدَتْ والدتي أيضاً. ولَم تَشأْ أنْ تُخبِرَ أبي بالهدايا الّتي كانَتْ تُحمِّلُني إيّاها إلى زوجةِ المُديرِ: أشغالٌ مِن تطريزٍ كانَتْ ماهِرةً في صُنعِها، وكانَتْ تَرى مِن واجِبِها أنْ تُرسِلَ مِنها قِطَعاً إلى تِلكَ المرأةِ، لعلَّها تَذكُرُ والدي بالخَيرِ أمامَ زوجِها. ولو دَرى أبي بذَلكَ لثارَ ثائِرُه لأنَّهُ كانَ شديدَ الأنَفةِ يَكرَهُ المَلَقَ والتزلُّفَ ولو كانا سبيلَهُ الوحيدَ إلى النّجاحِ.

«نِمْتُ تِلكَ اللّيلةَ فَريسةَ الهَواجِسِ والأحلامِ المُزعجةِ. حلَمْتُ بهَنا مِرْعي وقَدْ جَمعَتْ حَولَها بعضَ الفَتَياتِ تُخاطِبُهُنَّ بهِياجٍ، وتُشيرُ نَحوي إشاراتِ سُخريّةٍ واحتقارٍ. ورأيْتُ والدي وقَدْ طرَدَهُ المديرُ

الرِّياءُ: الكذبُ والخداعُ.
تنهَّدَ: أخرجَ نَفَسَهُ بعدَ مدِّهِ، حُزناً أو ألماً.
التزلُّفُ: التقرُّبُ بقصدِ المصلحةِ.

وعادَ إلى البيتِ مهموماً **كاسِفَ البالِ**، في حينِ جلَسَتْ أمّي بجانبِ أخي المريضِ وهو يَهذي مِنَ الحُمّى.

«لَم يبقَ بَينَنا وبَينَ العيدِ سِوى ليلةٍ واحدةٍ. وقدْ أنهَيْنا أنا وأخي صَنْعَ المغارةِ، فأَنَرْناها بمَصابيحِ الزَّيتِ الضّئيلةِ، وزَيَّنّاها بالعرائشِ المُتدَلِّيةِ فوقَ الصّخورِ وبباقاتِ الزَّرعِ الزّاهيةِ الخُضْرةِ، ووضَعْنا الشّخوصَ الملوَّنةَ: العذراءَ ويوسُفَ والملائكةَ والخِرفانَ والرُّعاةَ، كُلٌّ في مكانِهِ. ولَم يبقَ إلّا أنْ نَضعَ الطّفلَ يسوعَ ليلةَ الميلادِ. وهيَّأْتُ الورَقةَ، وأمسَيْتُ حائرةً في ما أَكتُبُ علَيْها، حتّى رأيْتُ أخي في صباحِ ذلكَ اليومِ البارِدِ، وقدْ عاوَدَتْهُ نوباتُ السُّعالِ وأخذَ يتَقلَّبُ في فراشِهِ مُتألّماً.

«ولَم أتردَّدْ بعدَ هذا. بلْ قرَّرْتُ أنْ أطرُدَ مِن رأسي كلَّ فِكرةٍ أنانيّةٍ. لَن أطلُبَ المالَ ولا الغِنى ولا الجَمالَ، ولا شيئاً من مَلذّاتِ الدُّنيا، بَل أكْتفي بطِلْبةٍ

كاسفَ البالِ: ضَيِّقَ الأمرِ، مكسورَ الخاطِرِ.

واحدةٍ، وهي أنْ يُشفى أخي فلا يَلْزمَ فراشَهُ في أسبوعِ الأعيادِ، ولا يُحرَمَ رؤيةَ المعارةِ الّتي أسهمَ في تهْيئَتِها وتَجميلِها، والّتي ستَظَلُّ موضوعَ بَهجتِنا مدّةَ أسبوعَيْنِ بعدَ العيدِ.

«وأخذْتُ الورقةَ، وكتبْتُ عليْها جملةً صغيرةً: «يا يسوعُ اشْفِ أخي»، ووَضعْتُها عندَ قدمَيِ الطّفلِ الصّغيرِ الفاتحِ ذراعَيْهِ بهيئَةِ خُشوعٍ وحنانٍ.

«كانَتِ اللّيلةُ شديدةَ البردِ والعواصفِ، فلَم أفكّرْ في السّهرِ قُربَ المغارةِ، ولَم يجرُؤْ أحدٌ مِنّا على الخروجِ لحضورِ قُدّاسِ اللّيلِ، لأنَّ الرّيحَ أخذتْ تَشتدُّ بصورةٍ مُخيفةٍ، حتّى شعَرْنا بجُدرانِ البيتِ تَميدُ بِنا. وتَعالى صفيرُ الرّياحِ تهُزُّ الأشجارَ هزّاً عنيفاً، فتُحطِّمُ أغصانَها، وتَعصِفُ بقرميدِ السّطوحِ فتَتناثَرُ قِطَعُه في كلِّ ناحيةٍ ويُسمَعُ لها دَويٌّ وقَرْقعةٌ.

«وحينَ قُمْنا في الصّباحِ، وقَدْ هدأَتِ العاصفةُ

تَميدُ: تَميلُ وتهتزُّ.

بعضَ الهدوءِ، شهِدْنا في الرَّدْهةِ مَنظراً مُحزِناً: كانَتِ الرّيحُ قدِ اقتلعَتْ **مِصْراعَيِ** النّافذةِ الّتي بجانبِ المغارةِ، و**أطاحَتِ** الشّخوصَ والصّخورَ واللُّعَبَ والمصابيحَ، وبعثرَتْها في كلِّ جانبٍ وتركَتْها **أثَراً بعدَ عَينٍ**!...

«فرُحْتُ أجمعُ أشلاءَها بعَينَيْنِ دامعتَيْنِ. ونَهضَ أخي مِن فراشِهِ وقَدْ أَحسَّ بالكارثةِ **فطَفِقَ** يَبكي. وعَبَثاً حاولَتْ أمّي إسكاتَهُ بمُختلِفِ الوُعودِ.

«هُنا دبَّتِ الحَماسةُ في صدرِ والدي فقالَ:

- لا تَبكِيا. سأَصنَعُ لكُما مغارةً أفضلَ مِن هَذه.

«كانَ أبي مولَعاً بالرّسمِ والنّحتِ، ذا مهارةٍ عجيبةٍ في العملِ اليَدويِّ. لَكنّهُ لَم يَجِدْ وسيلةً لِاسْتثمارِ مَقْدِرَتِهِ هَذه، ولَم يرَ باباً لِلاستفادةِ مِنها. ولمّا عرضَتْ له هَذه الفُرصةُ، جمَعَ أشتاتَ التّماثيلِ والرّسومِ والأَواني

المِصراعُ من البابِ أوِ الشّبّاك: أحدُ غَلقَيْه، الدّرفةُ في العامّيّة.
أطاحَتْ: أهلكَتْ.
أثرٌ بعدَ عينٍ: تعبيرٌ يعني أنَّ ما كانَ موجوداً ومرئيّاً امّحى وصارَ من الآثار.
طفِقَ: بدأ، شرعَ.

المكسّرةِ، فأصلَحَ ما أمكَنَهُ إصلاحُهُ. ثمّ جئناهُ بقِطَعٍ مِنَ الخشبِ، ونُتَفٍ مِنَ الصّوفِ والقُطنِ، ومَقاديرَ مِنَ **الجِصّ** والأَصباغِ **والخِرَقِ**، فاشتغلَ طولَ النّهارِ في صَنْعِ الأواني والشُّخوصِ المفقودةِ. وما جاءَ المساءُ حتّى أعادَ صُنْعَ المغارةِ، فإذا هي أفضلُ مِن ذي قَبْلُ، لأنَّ جميعَ الأدواتِ قدْ تجدّدَتْ نقوشُها وخطوطُها وبرزَتْ في **حُلّةٍ** جديدةٍ.

«فهتَفْنا هُتافَ الطَّرَبِ. ووقفَتْ أمّي تتأمّلُ المغارةَ المجدّدَةَ، ثمّ قالَتْ ضاحكةً:

- حقّاً يا نَديمُ إنّكَ تَستطيعُ **التّعيُّشَ** مِن صُنْعِ الشُّخوصِ لمغارةِ الميلادِ.

«فقالَ أبي بلَهجةِ الجِدِّ:

- وأنْتِ قُلْتِ.

«ولَم يَمضِ زمنٌ حتّى استقالَ أبي مِنَ الوظيفةِ الّتي

الجِصُّ: الكِلسُ أو الجفصينُ.
الخِرقُ: مفردُها الخِرقةُ وهي القطعةُ مِن القُماش.
الحُلّةُ: الثّوبُ الجديدُ.
التّعيُّشُ: السّعيُ وراءَ أسبابِ المعيشةِ.

استعبَدَتْهُ ولَم تَدُرَّ علَيْهِ حتّى **الكَفافَ**. وأَخذَ يَشتغلُ في صُنْعِ الشُّحوصِ واللُّعَبِ للأولادِ، وفتحَ مَحزَناً لبَيعِها. وكانَتْ أمّي تُعاوِنُه في خياطَةِ أثوابِ الدُّمى وتحضيرِ الرّسومِ والألوانِ. وما لَبِثَ حتّى وسَّعَ تجارتَهُ بمُشاركَةِ حالي في العملِ وإسهامِهِ في رأسِ المالِ. وبرعَ أبي في صَنْعِ اللُّعَبِ، وتَفنَّنَ في هَذا تفنُّناً أكسَبَهُ شُهرةً واسعةً في المدينةِ وخارجَها. واستخدمَ عدداً مِنَ العمّالِ لمُعاوَنتِهِ، وسَمّى مَخزَنَهُ «جنَّةَ الأولادِ»، ثمَّ بَنى بجانبِهِ مَلعباً واسعاً كانَ يَقصِدُه الأولادُ ليَلعبوا فيه مُقابِلَ أُجرةٍ مُعيَّنةٍ.

«مُنذُ تِلكَ السَّنةِ لزِمَتْ والدي ابتسامتُه ومَنزلَنا بَهجتُه. فأصلَحْنا بيتَنا القديمَ المُتَداعيَ الجُدرانِ، وقضَيْنا الصّيفَ في الجبلِ، فتحسّنَتْ صحّةُ أخي وفارقَهُ السُّعالُ، وكنْتُ أَنظرُ إلى وَجهي في المِرآةِ فأَراهُ قدْ أَشرقَ بنورِ العافيةِ وعَنَتْهُ مَسحةٌ مِنَ الجَمالِ...

استعبدَ فلاناً: جعلَهُ عبداً له.
الكَفافُ مِنَ الرِّزقِ: ما كَفى وأغنى عَنِ النّاس.

«والآنَ، ما رأيُكُم يا أولادي؟ أَتظنّونَ أنَّ الطّفلَ يسوعَ حَزَرَ ما كانَ يحولُ في رأسي فأَعطاني ما أُصرِّحُ به؟ أمْ إنَّهُ كافأَني لأنّي آثَرْتُ الآخَرينَ على نَفسي، وكافأَ والدي على كَدِّهِ واجتهادِهِ؟»

آثَرَ فضَّلَ.

قصة

الهِرُّ البَرّيُّ

كانَ شَكلُهُ غريباً، أو هَكذا بَدا لنا حينَ وقفَ في البابِ حائراً، خافِضَ الطَّرْفِ، مُتَردّداً بَينَ الدّخولِ والِانسحابِ، حتّى أمسكَتْ أمّي بيَدِهِ ودفعَتْهُ نَحوَ الدّاخلِ وهي تقولُ:

- لَقيتُه شارداً في الشّارعِ، يَمدُّ يدَهُ للمارَّةِ ولا يَجسُرُ على رفعِ صوتِهِ لطلَبِ الصَّدَقةِ. فجِئتُ به إلى هُنا. سأعلّمُه كَنْسَ البيتِ وغَسْلَ الصّحونِ وأشياءَ أُخرى مفيدةً... هَذا الطّقسُ الحارُّ يُنهِكُ القُوى، وإنّي في حاجةٍ إلى مُسعِفٍ.

حينَ أصبحَ داخلَ الرَّدْهةِ تركَّزَتْ علَيْهِ أنظارُنا مرّةً أُخرى. فإذا هو نَحيلُ الجسمِ، دقيقُ المَلامحِ، في وَجهِهِ

بياضٌ مائلٌ إلى الصُّفرةِ، يتَحلَّلُه نَمَشٌ. يَرتَدي لِباساً مِن قُطنٍ، رَماديّاً مخطَّطاً بالبَياضِ، شبيهاً بالبيجاما، وعلى رأسِهِ **قَلَنْسُوَةٌ** قاتمةُ اللَّونِ تَشُدُّ رأسَهُ شدّاً. لقَدْ أثارَ **فُضولَنا** بمَنظرِهِ الكئيبِ، لَكِنّهُ حينَ رفعَ بصرَهُ، لمَحْنا في عَينَيْهِ الصّغيرتَيْنِ **وميضاً يُناقِضُ** مَظهرَهُ.

اسمُه كَريمٌ، قالَتْ أمّي. أظنُّ أنّهُ في العاشرةِ، أيْ أصغرُ مِنكُما قليلاً.

فقالَ أخي وقَدْ مالَ نحوَ الصّبيِّ:

ـ اسمي عادِلٌ، واسمُ أُختي نَدى.

لكنَّ الصّبيَّ لَمْ يَتحرّكْ مِن مَوضِعِهِ، ولَم يَبدُ في وَجهِهِ أيُّ إشارةٍ أوِ اسْتِجابةٍ. ولَبِثَ جامداً كالصَّنمِ حتّى دَعَتْهُ أمّي إلى المَطبخِ فلَحِقَ بها.

ـ إنّهُ يلازِمُ أمّي مُلازَمةَ ظِلِّها، قُلْتُ لِعادِلٍ بعدَ مرورِ يومَيْنِ على قُدومِ الضّيفِ الجديدِ. لقدِ استأثَرَ باهْتمامِها.

القَلَنْسُوَةُ نوعٌ مِن القُبّعاتِ أو ملابسِ الرّأسِ.
الفُضولُ تعرُّضُ الإنسانِ لما لا يعنيهِ، الحِشَريّةُ في العامّيّةِ.
الوميضُ البريقُ واللّمعانُ.
يناقِضُ يخالفُ.

ـ كَيفَ؟

ـ البارحةَ أدخلَتْهُ الحمّامَ. نظّفَتْ له ثيابَهُ وألبَسَتْهُ ثوباً جديداً. واليومَ انهمَكَتْ طولَ النّهارِ في غَسلِ الصّحونِ ومَسحِ الغُبارِ... نَكادُ لا نَراها.

ـ أينَ هُما الآنَ؟

ـ في المَطبخِ.

وسمِعْنا صوتَها تُكلِّمُه:

ـ اغسِلِ البطاطا جَيّداً قبلَ قَشرِها. هاتِ عُلبةَ الملحِ.

ـ إنَّهُ أبكمُ **لا يُحيرُ جواباً**. تَعالَيْ لنَذهَبَ إلَيْهِ ونُحاوِلَ حَمْلَهُ على الكلامِ.

كانَ واقفاً بجانبِ الطّاولةِ وبِيَدِهِ سكّينٌ لقَشرِ البطاطا. فاقترَبْنا مِنْه **وانهالَت** علَيْهِ أسئِلَتُنا:

ـ لماذا لا تَجلِسُ؟ ألا تَتعبُ مِنَ الوقوفِ؟

لا يُحيرُ جواباً: لا يردُّ جواباً.
انهالَتْ: انصبَّتْ وتتابعَتْ.

- هَل آتيكَ بالكُرسيِّ؟

كانَتْ أمّي مُنشغِلةً بتقطيعِ اللّحمِ، فتَولَّتِ الجوابَ عَنْه:

- لو جسَ لما استطاعَ بُلوغَ الطّاولةِ لصِغَرِ قامَتِه.

سكَتْنا بُرهةً، ثمَّ عُدْنا نُمطِرُه الأسئِلةَ:

- أينَ كنْتَ قبلَ أنْ تأتيَ إلى هُنا؟

- ما اسمُ أمِّكَ؟ ما اسمُ أبيكَ؟

- إنَّهُ لا يُجاوبُ. لسانُه معقودٌ.

- إنَّهُ كالهرِّ البَرِّيِّ: **أبرَشُ** اللّونِ، عنيدٌ، لا **يألَفُ أحداً**.

- سنَدْعوهُ الهرَّ البَرِّيَّ. اسمٌ مُناسبٌ...

هُنا تدخَّلَتْ أمّي وصرَخَتْ:

- اخرُجا مِن هُنا! تُلهيانِه عَن شُغلِهِ ولا تقومانِ بأيِّ عملٍ! المطبخُ للشُّغلِ لا للكلامِ. اخرُجا! إذا واصَلْتُما إزعاجَهُ بالثَّرثرةِ فَسيَجرَحُ يدَهُ!

الأبرشُ: مَن كانَ على جسدِهِ نُقَطٌ بيضٌ أو لونُها مخالفٌ للَونِ جلدِهِ.
يألفُ أحداً: يأنَسُ به ويحبُّهُ.

خرَجْنا ناقِمَينِ ونحنُ **نُدمدِمُ**:

- إنَّها تُدافعُ عَنْه. تَنحازُ إلى جانبِه. تَطرُدُنا لأجلِه. تُعامله كالطِّفلِ المُدلَّلِ... تخافُ أنْ يَجرحَ يدَهُ!

في اليومِ التّالي فاجأْناهُ وحدَهُ في المطبخِ أمامَ كومَةٍ مِنَ الصّحونِ والقُدورِ **مَرْكومةٍ** في المَجلى. وقَفْنا نُلاحِظُ حركاتِهِ البطيئةَ وهو يَتناولُ وِعاءً بعدَ آخرَ، **يَكشِطُ** عَنْه فَضلاتِ الطّعامِ بيدَيْهِ النّحيلتَيْنِ وقَدِ اسودَّتْ أظافرُه لِما عَلِقَ بها مِنْ أقذارٍ. لَم يشعُرْ بِنا لأنَّهُ أدارَ ظهرَهُ للبابِ. وفيما كانَ يُمسِكُ صَحناً خزَفيّاً يُريدُ غَسْلَهُ صرَخْنا معاً بِصوتٍ واحدٍ:

- الهرُّ البرّيُّ!

فاضطرَبَتْ يَداهُ وسقطَ مِنْهما الصّحنُ فانكسرَ.

وبسُرعةِ الأرانبِ انسَلَلْنا خارجَ المَطبخِ واختبأْنا في غرفةِ النّومِ، مُنْصِتَينِ لصَوتِ أمّي تُكلِّمُه غاضبةً وتؤنِّبُه

نُدَمْدِمُ: نتكلَّمُ غاضبين.
المركومةُ: المتراكِمةُ بعضُها فوقَ بعضٍ.
يكشطُ الوعاءَ: يرفعُ عَنْهُ شيئاً قدْ غشّاهُ.

على كَسرِ الصّحنِ. توقَّعْنا أنْ تَكيلَ له الشّتائمَ ولَكنَّها لَم تَفعلْ. وانتظَرْنا أنْ نسمَعَهُ مُجاوِباً أو مُدافِعاً، وأنْ يَتحوَّلَ النّقاشُ بَينَهُما إلى خُصومةٍ، لَكِنَّهُ ظلَّ ساكتاً. هَلْ كانَ سكوتُه دليلَ خوفٍ وحياءٍ، أمْ شرٍّ ودهاءٍ؟

قُلْتُ هامِسةً:

ـ اسمَعْ. غداً ستغيبُ أمّي طَوالَ الصّباحِ حتّى الظُّهرِ.

ـ أينَ؟

ـ ستُساعِدُ جدَّتي في صَنْعِ القَوَرْما.

ـ وسنَكونُ وحدَنا نَفعلُ ما نَشاءُ. تعالَيْ نهيِّئ اللُّعَبَ.

في الصّباحِ، حينَ غادَرَتْنا أمّي قائلةً: «كونا هادئَينِ. لا تُؤذِيا الولدَ. سأعودُ بما يَسُرُّكُما»، وَعَدْناها خَيراً. وما إنْ خرَجَتْ حتّى رُحْنا نَملأُ المكانَ حركةً وصُياحاً: نَلعبُ حيناً بالكُرةِ، وحيناً آخَرَ بالغَمّيضةِ. وتارةً نَقفِزُ على الحبلِ، وطَوْراً نَلعبُ لُعبةَ الكنزِ، وهي أنْ يُخفِيَ أحدُنا شيئاً ويَجِدَّ الآخَرُ في اكتشافِهِ. وجعَلْنا الهرَّ



البرّيّ يُشارِكُنا في اللّعِبِ، نَأمرُه فيُطيعُ: إذا تَدحرجَتِ الكُرةُ واختفَتْ وراءَ السّريرِ فعَلَيْهِ أنْ يَلقُطَها؛ إذا انعقدَ الحبلُ فعليْهِ أنْ يَفُكَّهُ؛ وإذا ضاعَ شيءٌ فعَلَيْهِ أنْ يُحاوِلَ إيجادَهُ.

وجُنَّ عادِلٌ جنوناً فأخذَ يَرمي الكُرةَ على غيرِ هُدىً، فأصابَتْ إناءَ زَهرٍ مَوضوعاً في زاويةِ الرَّدْهةِ فحطَّمَتْهُ. وحينَ رجَعَتْ أمّي لَم يَتورَّعْ مِن اتِّهامِ كَريمٍ بكَسْرِه.

لَكِنَّ كريماً ظَلَّ ساكتاً لَم يَفتحْ فاهُ لِلاحتجاجِ. أمّا والدتي فارتابَتْ في الأمرِ. أَخذَتْ تُنَقِّلُ نَظرَها بيْننا، تُراقبُ حركاتِ كلِّ واحدٍ وأَماراتِ وَجهِهِ لِتَرى هَل في الأمرِ خِداعٌ. أخيراً زَجرَتْنا جميعاً بصَوتٍ عالٍ وقالَتْ:

- إذا لعِبْتُم بَعدُ بالكُرةِ، أو بغَيرِها، داخلَ البيتِ، فسَأَكسِرُ أرجُلَكُم!

يتورّعُ مِن كذا: يتجنّبه ويتعفّفُ عنْهُ.
الأَمارات: العلاماتُ.
زَجَرَ فلاناً: طرَدَهُ صائحاً عليْه.

وأرغَمَتْنا مِن ذَلكَ الحينِ على اللَّعبِ في الخارجِ، ومنعَتْنا مِن مخالطَةِ كَريمٍ والتَّحرُّشِ به، فأَهمَسْاهُ فترةً مِنَ الوقتِ. لَكنَّ أمّي اضطُرَتْ بعدَ ذلكَ إلى التَّغيُّبِ في زيارةِ مَنزِلٍ يقَعُ في آخِرِ البلدةِ.

كانَ كَريمٌ يَمسحُ غُبارَ المَقاعدِ وباقي أثاثِ الرَّدْهةِ، حينَ دخلَ عادِلٌ كاللِّصِّ وبيَدِهِ حَجرٌ ومِقلاعٌ صغيرٌ مَصنوعٌ مِن عودٍ شُدَّ في طَرَفِهِ المُتَشعِبِ **قِدَّةُ** مطّاطٍ. كانَ يَنوي تَجديدَ لُعبَتِهِ السّابقةِ: يُطلِقُ الحَجرَ على الإناءِ **الخزَفيِّ** الآخَرِ المَوضوعِ في الزّاويةِ المُقابِلةِ لِتلكَ الّتي أَصبحَتِ الآنَ فارغةً، فيَكسِرُ الإناءَ، ويَتَّهِمُ الهِرَّ البرّيَّ بكَسْرِهِ. ولمحَهُ كَريمٌ فركَضَ بأَسرَعَ مِن لَمحِ البصرِ، وأَمسكَ الإناءَ مُحاولاً أنْ يَحميَهُ بجِسمِهِ الصّغيرِ. لَكنَّ الحجرَ انطلقَ وأصابَ رأسَهُ، فسالَ مِنْه الدّمُ غَزيراً، وانفجرَ الصَّبيُّ بالبُكاءِ. ولأوّلِ مرّةٍ سمعْتُ

القِدّةُ: السَّيْرُ المقطوعُ مِن جلدٍ، وهنا مِن مطّاطٍ.
الخزفيُّ: المصنوعُ مِنَ الخَزَفِ أي الفَخّارِ.

صَوتَهُ! كانَ يَنْشِجُ نشيجاً عالياً متَّصلاً يُفرِغُ فيه كلَّ ما في صَدرِهِ مِن ألَمٍ دَفينٍ. فتحرَّكَ قلبي بالشَّفَقةِ عليْهِ، ولَكِنْ بعدَ فَواتِ الأوانِ... لقَدْ جاءَتْ أمّي وضمَّدَتْ جُرحَهُ. وحينَ شُفِيَ، ذهبَتْ به إلى المَيتمِ، لعلَّ أصحابَهُ يَكونونَ أرأَفَ به مِنّا وأَحنى علَيْهِ.

أُقسِمُ، لو عادَ اليومَ إلى بيتِنا لَاسْتغفَرْتُه وأَحسَنْتُ إلَيْهِ. لَكِنَّ الطّفولةَ أحياناً قاسِيةٌ لا تَرحَمُ.

ينشِجُ: يَغَصُّ بالبكاءِ مِن غَيرِ انتحابٍ.

قصة

حكايةُ العَلَمِ

كانَتْ فتاةً مديدةَ القامةِ، ناصعةَ البَياضِ، في مِشْيَتِها خِفَّةُ الغِزلانِ، وفي عَينَيْها صَفاءُ الينابيعِ. أبوها مِن سُلالةِ الملوكِ، وأمُّها مِن نَسلِ آلِهَةِ «الأولَمْبِ». قالوا إنَّ الأمَّ وُلِدَتْ في جزيرةِ «أَفْروديتَ»، وهي جزيرةُ «قُبْرُصَ»، واتَّخذها النّحّاتونَ مِثالاً يَنقلونَ عَنْه تِمثالَ إلاهَةِ الجَمالِ. وكانَتْ حياتُها أُسطورةً وموتُها أيضاً أُسطورةً: فقَدِ اختطَفَها الموتُ في رَيْعانِ الصِّبا بعدَ أنْ **وَضَعَتْ** بِنتَها هيلينا الّتي كانَتْ صورةً طِبْقَ الأَصلِ لأُمِّها، إلّا أنّها أَرَقُّ مِنها صَوتاً وأرحَبُ جَبيناً. قالَ

رَيْعانُ الصِّبا أو الشَّباب: أوّلُه وأفضلُ أيّامِه.
وضَعَتْ: وَلَدَتْ.

بعضُهُم إنَّ فتىً مِن ذَوي قُرْباها، شبيهاً بأَبّولو طارَ بها إلى جزيرةٍ **نائيةٍ**، وقالَ آخَرونَ إنَّها كانَتْ تَستحِمُّ على شاطئِ «البِيريه» فاختطَفَها إلَهُ البحرِ وغابَ بها، كما اختُطِفَتْ أوروبّا مِن قَبِلِها عَن شواطئِ «فينيقِيا».

لَمْ تَدرِ الفتاةُ شيئاً مِنَ الحكاياتِ الّتي شاعَتْ حَولَ أمِّها، إذْ نشأَتْ وحيدةً، لا رفيقَ لها سِوى فتاةٍ أصغرَ مِنْها سِنّاً. وحَرَصَ أبوها على أنْ يُبقِيَها في **مَعْزِلٍ** عَن ثَرثَرةِ الخَدمِ وخُرافاتِ العجائزِ. قضَتْ طفولتَها تَسرحُ على الشّواطِئِ الّتي وَطِئَتْها قَبْلَها أَقدامُ الآلهةِ والفنّانينَ، وتقِفُ حالمةً أمامَ الآثارِ الّتي اختبأَتْ فيها أرواحُهُم؛ فتَسمَعُ مِن أفواهِ التّماثيلِ هَمَساتِ الوَحْيِ، وتَنطلِقُ أشباحُ الماضي مِن **إسارِها** لتَروِيَ لها أَروعَ الأساطيرِ.

طَلَبَ الزّواجَ بها واحدٌ مِن أقارِبِ والدِها، أحدُ أُمراءِ «هِلّاسَ». وكانَ بارعاً في الفَتكِ والبَطشِ، كأنَّهُ

نائية: بعيدة.
المعزل: التّنحي والابتعاد.
الإسار: الأسرُ وحَجزُ الحرّيّة.

مارْسُ إلَهُ الحربِ. **فأَعْرَضَتْ عَنْه**، وواصَلَتْ تَنقُّلاتِها على الشّواطِئِ الوَضّاءةِ، تَتَملّى نَفسُها مِن سِحْرِ الفنِّ والطّبيعةِ، حتّى لَقِيَتْ في أحدِ الأَمسِيَةِ فتىً قَذفَتْ به أمواجُ «المُتَوسِّطِ» عى تِلكَ الشّواطِئِ، حَيثُ وَقفَ مَبهوتاً أمامَ الآلهةِ المَنحوتةِ في الحِجارةِ، وخُيِّلَ إلَيْهِ أنّها تَتحفّزُ للرَّقصِ أو الطَّيَرانِ. وفجأةً رأى نَفسَهُ أمامَ إلاهةٍ مِن لحمٍ ودمٍ، فبرَقَتْ **أَساريرُه**، وصوَّبَ نَحوَها عَينَيْنِ سَوداوَيْنِ تَشِعّانِ بنورٍ **أخّاذٍ**؛ فمدَّتْ نَحوَهُ بصَرَها، ورأَتْ فتىً في مِثلِ عُمرِها، مديدَ القامةِ، أسمرَ اللّونِ، يَلبَسُ ثوباً **أُرجوانيّاً** يَكشِفُ ذراعَيْهِ المَفتولتَيْنِ، وعُنقاً طويلاً يَحمِلُ رأساً مُتناسِقَ التّقاطيعِ، كأنّما نَحتَهُ إزميلُ فيدياسَ.

قالَ لها مِن غَيرِ مُقدِّماتٍ:

ـ أنا سائحٌ مِن «قَرْطاجَةَ». هجرْتُ دارَ أبي وجِئتُ

أعرَضَ عن فُلانٍ أوْ عَنِ الشّيءِ: أضرَبَ ولَم يُبالِ.
الأساريرُ: خطوطُ الوجهِ ومحاسِنُه.
الأخّاذُ: الجذّابُ جِدّاً يأخذُ بالعينِ والعقلِ.
أُرجوانيٌّ: أحمرُ بلَونِ الأُرجُوانِ وهَو شجَرٌ له وردٌ، وصِبْغٌ أحمرُ.

أَنشُدُ الجَمالَ في بلادِ أمّي.

- إذَنْ أمُّكَ يونانيّةٌ؟

- نعمْ، ووالدي فينيقيٌّ، لَكِنَّ حُبَّ الفنِّ غلَبَ عِندي على حُبِّ التّجارةِ، فجِئْتُ أَنْشُدُ وَحْيَ الآلهةِ لأَسكُبَهُ أشعاراً ورُسوماً.

- وهَل وجدْتَ وَحْيَكَ هُنا؟

- نعمْ، ووَجدْتُ فيكِ وَحْيي الأكبرَ، فأنْتِ مِن سُلالةِ الآلهةِ كما أرى.

- فيَّ دماؤُهُم مِن ناحيةِ أمّي. أمّا أبي فمِنْ سُلالةِ الملوكِ الّذينَ ارتادوا البحارَ. لعلَّهُ فينيقيُّ الأصلِ. فأنا وأنتَ مُتَشابهانِ، تَتلاقى فينا دماءٌ مُختلِطَةٌ.

- لعلَّ هَذا سرُّ تَجاذُبِنا.

- أبِهَذه السّرعةِ؟

- ألا تَشعُرينَ بما أشعُرُ به؟

فأطرَقَتْ لحظةً ثمّ قالَتْ:

نشد: طلب.

ـ سنَلْتقي غداً. في هَذا المكانِ إذا شِئْتَ.

فقالَ:

ـ سأنتظِرُ هُنا إلى الغدِ، ولَن يَغْمَضَ لي جَفنٌ حتّى رجوعِكِ.

وعادَتْ إلى أَبيها لتقولَ له إنَّها ستتزوَّجُ فتىً أسمرَ اللّونِ، أُرجوانيَّ الثّوبِ، يَجمعُ ألوانَ الشّمسِ على راحتَيْهِ، وأنغامَ الأثيرِ على شفتَيْهِ.

قالَ الأبُ:

ـ أتَتزوّجينَ بغَريبٍ شَريدٍ، وتَرُدّينَ نسيباً لكِ مِن سُلالةِ الملوكِ والأبطالِ؟

قالَتْ:

ـ أعجَبَني في الفتى ما في رأسِهِ مِن رُؤى الفنِّ وكُنوزِ المعرفةِ.

لاقَتْ فَتاها عِندَ المساءِ حَيثُ كانَ يَنتظِرُها، فرَكِبا سفينةً شِراعيّةً، وأَخذا يَطوفانِ بَينَ الجُزُرِ الخضراءِ

راحتا اليدَيْنِ: باطنُ الكفَّيْنِ.
الأثيرُ: الفلكُ أو الفضاءُ.

المُنتَثرةِ في البحرِ الأبيضِ، حتّى استَشْرَفا الشّاطِئَ الشّرقيَّ الّذي تُحاذيه جبالٌ متموِّجَةُ الألوانِ، فوَقفَتْ تتأمّلُ مَناظِرَهُ السّاحِرةَ. وخفَقَ في صدرِ الفَتى عِرقٌ أَصيلٌ يَشدُّه إلى أرضِ أجدادِهِ، فقالَ لها:

ـ لِنَقِفْ عِنْدَ هَذه الجبالِ المُطِلَّةِ على زُرقَةِ البحرِ، المُكلَّلةِ بالخُضرةِ، المُعمَّمةِ بالثّلوجِ، المُزنَّرةِ بألوانِ قَوسِ السَّحابِ. هَذه الجبالُ الّتي شَهِدَتْ غَرامَ عِشْتارَ وأدونيسَ، حَيثُ عانَقَتْ آلهةُ «اليونانِ» آلهةَ «فينيقيا» في هَيكلِ «بَعْلَبَكَّ» الجبّارِ الّذي هجرَتْ لأجلِهِ فينوسُ وجوبيتِرُ جبالَ «الأولَمْبِ».

قالَتْ:

ـ ولأَجلِ هَذه الأرضِ المقدَّسةِ سأَهجُرُ أنا أيضاً بلادي.

وأَدركَتْ أنّها وَجدَتْ في مَوطِنِ الأرزِ ضالَّتَها، فعزَمَتْ على أنْ تَبنيَ فيه صَرْحَ سعادتِها.

أَفرغَتْ أمامَ البنّائينَ السُّمْرِ الوُجوهِ، **المَفْتولي**

الصَّرحُ: القصرُ وكلُّ بناءٍ عالٍ.
المفتولُ: المحكَمُ والشّديدُ كأنّه فُتِلَ فتلاً.

السّواعدِ، كيساً مِن ذهَبِ أبيها ليَبْنوا لها فوقَ الجبالِ قصراً شبيهاً بقصرِ حيرامَ تُقيمُ فيه معَ فتاها الفنّانِ.

ونثَرَتْ على السّكّانِ حَفَناتٍ مِن مالِ أبيها، وأسرَتْ قلوبَهُم بحُسنِ خَلْقِها وخُلُقِها، فأرادوها مِلكةً علَيْهِم.

قالَتْ:

ـ لسْتُ طامِعةً في الحُكم والسّيادةِ. لَن يكونَ عِندي جيشٌ ولا حُرّاسٌ، لأنّي **أمْقُتُ** الحربَ وما يتّصِلُ بها. لَكنّي **سأُضيفُ الغريبَ** وأُعطي المُحتاجَ، وأعملُ على إسعادِ هذا البلدِ المضيافِ، الصّغيرِ الحجم، الكبيرِ القلبِ. أمّا زوجي الفنّانُ فسَيُلقي على أولادِكُم دروساً في فنِّهِ، ويَمنحُهُم نَفَحاتٍ مِن روحِهِ، ويُخلِّدُ في لوحاتِهِ وأشعارِهِ جَمالَ بلادِكُم وشواطِئِكُم.

وعاشَتِ الفتاةُ في القصرِ مَلكةً غَيرَ مُتوَّجةٍ، وانصرَفَتْ إلى زرعِ الخَيرِ والجَمالِ حَولَها. ففاضَتِ

أمقُتُ: أكرَهُ.
أضافَ الغريبَ: أجارَهُ وألجأَهُ.

العِلالُ، وازدهرَتِ المَواسِمُ، وامتلأَتِ البلادُ بالخَيراتِ، وأخذَ النّاسُ يُصلّونَ في المعابدِ لرَبّةِ قصرِ الصَّنوبرِ، ويُعظّمونَها كإحدى الإلاهاتِ الّتي عَبَدوها.

تلألأَتْ في القصرِ ليلاً أسوارُ المَشاعلِ تَهدي السُّيّاحَ والمُسافرينَ الّذينَ تَوافَدوا لزيارةِ أرضِ الحُبِّ والسّلامِ. وغمَرَ أرجاءَهُ شَذا العُطورِ الّتي سَطعَتْ مِن أحراجِ «لُبْنانَ». وارتفعَتْ على السّفوحِ والهِضابِ قصورٌ جديدةٌ تَشُدُ في قُربِ الإلاهةِ الجديدةِ خَيراً وبَرَكةً.

أمّا زوجُها فعكَفَ على صُنعِ تماثيلَ لآلهةِ الجبالِ والأحراجِ، ووَضْعِ تصاميمَ للهَياكلِ والقصورِ الّتي جَثَمَتْ كالقِلاعِ الحصينةِ فوقَ الهِضابِ المواجِهةِ للبحرِ، تَفتحُ صدورَها لشمسِ المَغيبِ.

وقالَتْ ربّةُ القصرِ لزوجِها:

ـ ليسَ لدَيْنا حُرّاسٌ أو حُجّابٌ. وليسَ لهَذا المنزلِ

جثَمَ: تَلبّدَ بالأرضِ وتَرسّخَ.



ما يميِّزُه مِن سِواهُ مِن مَنازِلَ. لِتتَّخِذْ له عَلَماً وشِعاراً يُعرَفُ به ويَلفِتُ إِلَيْهِ الأنظارَ، فيُصبِحَ مَلجأَ القُصّادِ وأصحابِ الحاجاتِ، ومَوئِلَ الضّيوفِ والسّائحينَ.

في اليومِ التّالي جاءَها الفنّانُ بِشِعارٍ ذي لَونَيْنِ رسَمَهُ على لوحَةٍ وقالَ:

ـ أمّا بَياضُه فمِن بَياضِ لونِكِ. وأمّا اخضِرارُه فمِن خُضرةِ ثوبِكِ المفضَّلِ الّذي يرمُزُ إلى أصلِكِ المَلَكيِّ...

فقالَتْ:

ـ إنّي أرى فيه شيئاً آخرَ. إنَّ بَياضَهُ هو بَياضُ الثّلوجِ الّتي تُكلِّلُ أعاليَ هذا الجبلِ المَنيعِ صَيفَ شِتاءَ. أمّا خُضرَتُه فخُضرةُ الرّبيعِ، بَل خُضرَةُ الأرزِ المقدَّسِ الّذي يَعيشُ هُنا مُنذُ آلافِ السّنينَ، ويَروي حِكاياتِ الملوكِ والنُسّاكِ الّذينَ تفيَّؤوا ظِلالَهُ.

وجسَتْ إلى نولِها الفِضِّيِّ تنسُجُ علَيْهِ الشِّعارَ

المَوئِلُ: المَلجأُ.

بحيوطٍ بيضاءَ وخضراءَ صنعَها أولَئكَ القَرويّونَ مِنَ الفَيالِجِ الحريريّةِ الّتي تزرعُها ديدانُ القَزِّ على أغصانِ الشّيحِ والوَزّالِ. وحينَ أتمّتْ نسْجَها قالَتْ لِلفَتى:

ـ هَذا الشّعارُ رمزُ حُبِّنا، يَخلُدُ بخلودِهِ.

قالَ:

ـ لا رَيبَ في خلودِ شِعارٍ نسجَتْهُ يدُ إلاهةٍ.

رفرفَ العلَمُ فوقَ القصرِ يَتلألأُ بَياضُه في الشّمسِ السّاطعةِ، وتَشمَخُ فيه أرزةٌ جبّارةٌ تُثيرُ خُضرَتُها اللّامعةُ حسَدَ رفيقاتِها مِن صَنوبَرٍ وأَرزٍ.

وعلى حينِ غَفلةٍ مِن سكّانِ القصرِ، هجمَ الأميرُ المُحارِبُ، نسيبُ الأميرةِ، ومعَهُ جيشٌ مِنَ الجنودِ الفاتكينَ، يُريدُ الِاستيلاءَ على الأميرةِ وقصرِها، واتّخاذَ ذَلكَ الجبلِ المنيعِ مَعْقِلاً يَمُدُّ مِنْه سُلطانَهُ على باقي البلادِ. فانبرى الفنّانُ وأعوانُه لمُقاومَتِه.

الفيالِجُ: مفردُها الفيلجةُ، بيتٌ مِن حريرٍ تنسُجُه دودةُ القزِّ على نفسِها.
الوزّالُ: نباتٌ تُغتلُ أغصانُه حبالاً.
المَعقِلُ: المَلجأُ.

أصرَّ الأميرُ المحارِبُ على اقتلاعِ العلَمِ ليُمزِّقَهُ أشلاءً، كأنَّما عرَفَ الهَدَفَ مِن وجودِهِ. وأَصرَّ الفَتى الفنّانُ على الدّفاعِ عَنْه إذْ رنَّتْ في أُذنِهِ كَلِمةُ أميرتِهِ: «هَذا رمزُ حُبِّنا يَخلُدُ بخلودِهِ».

لَكنَّ الأميرَ طعَنَهُ طعنةً قاضيةً، واصطبَغَ العلَمُ الأبيضُ بدماءِ الفَتى الصَّريعِ. وظلَّ الأميرُ محاصِراً القصرَ برجالِهِ حتّى أطلّتِ الأميرةُ ورأَتْ فَتاها مطروحاً فوقَ العلَمِ المصبوغِ بدمائِهِ. فقالَ لها نسيبُها وهو يضحَكُ ضِحكةً وحشيّةً:

ـ أنتِ في حاجةٍ إلى بطلٍ مُحارِبٍ يَدفعُ عَنكِ الغاراتِ، لا إلى شاعرٍ عاجزٍ عَنِ الحربِ غارقٍ في بحرِ أوهامِهِ.

قالَتْ:

ـ الموتُ أحبُّ إليَّ مِن عِشْرةِ أمثالِكَ. لقَدْ هَدمْتَ هناءَنا لتَبنيَ مجدَكَ على أنقاضِهِ، ولَكِنْ لَن يقومَ

الصّريعُ: القتيلُ.

عرشٌ تَبنيهِ على الظُّلمِ، ولَن تَطيبَ لكَ لُقمةٌ **مَخضوبةٌ** بالدِّماءِ.

وحملَتْ جُثّةَ روجِها فلفَّتْها بالعَلَمِ الّذي افتداهُ بحياتِهِ. وقالَتْ:

ـ نحنُ نموتُ، ولَكِنْ يَحيا حبُّنا أَبدَ الدّهورِ. وكما نبَتَتْ دماءُ أدونيسَ زهوراً حمراءَ، ستَحيا دماؤنا في خُضرةِ الرّبيعِ وثلوجِ الجبلِ وحُمرةِ **الشَّفَقِ**.

وطَعنَتْ نفسَها **بمُديَةٍ** كانَتْ أخذَتْها مِن خزائنِ أبيها وأخْفَتْها في ملابِسِها. ورقدَتْ لتَموتَ فوقَ العَلَمِ الّذي لفَّ جُثّةَ زوجِها الشّهيدِ. ودُفِنا في حُفرةٍ واحدةٍ يَلُفُّهُما علَمٌ واحدٌ.

أمّا الأميرُ المحارِبُ فقدِ اغتالَهُ واحدٌ مِن رجالِهِ، وتبدَّدَ جيشُه، وانهارَ مُلْكُه قبلَ أنْ يُبصرَ النّورَ. وتهدَّمَ القصرُ **واندثرَتْ** مَعالِمُه بمرورِ السّنينَ. لكنَّ فنّاناً

مخضوبةٌ مصبوغةٌ

الشَّفقُ بقيّةُ ضوءِ الشّمسِ وحُمرتُها في أوّلِ اللّيلِ

المُديةُ الشّفرةُ الكبيرةُ، السّكّينُ

اندثر امّحى

حديثاً اكتشفَ القبرَ الّذي أصبحَ خالياً إلّا مِن نسيجٍ أبيضَ كالثّلجِ، في وسَطِهِ أرزةٌ خضراءُ يُحيطُ بها مِنَ الجانبَيْنِ **نِطاقٌ** أحمرُ كالدّمِ.

وكانَ هذا النّسيجُ **نَواةَ** العَلَمِ.

النّطاقُ: ما يُلفُّ حولَ الوسطِ، الإطارُ.

النّواةُ: بزرةُ التّمرِ ونحوِه، قلبُ الشّيءِ.

قصة

خَمسَةُ فَدادينَ

مُنذُ أنْ يَبسَتْ شَجرةُ اللّوزِ الّتي كانَتْ تُظلّلُ أكبرَ قسمٍ مِنَ البُستانِ الّذي بجانبِ البيتِ، فاضطُرّوا إلى قَطعِها وإلقائِها بجانبِ المَوقِدِ الكبيرِ لتُصبحَ طُعْمةً للنّارِ، مُنْذُ ذَلِكَ الحينِ، تجدّدَتْ هُمومُ أَبي سَعيدٍ، فكانَ يَحلو له أنْ يَجلِسَ على حَجَرِ السّياجِ **المُحاذي** لمكانِ الشّجرةِ. يَجلِسُ هُناكَ ساعاتٍ في حَرِّ الشّمسِ الّذي كانَتْ تَرُدُّهُ أغصانُ اللّوزةِ فيما مَضى. كانَ يتأمّلُ ما بَقيَ في الأرضِ مِن جِذعِها الأسودِ الضّخمِ، و**يَجترُّ** ذِكرياتِ الماضي **المتشبّثةَ** بِذهنِهِ تشبُّثَ جِذعِ

المُحاذي: المقابلُ والمُقارِبُ.

اجترّ: مضغ الأكلِ ثانيةً، والمقصودُ هنا استرجاعُ الذّكرياتِ دائماً.

المتشبّثةُ: المتعلّقةُ، المتمسّكةُ.



اللّوزةِ بأرضِ البُستانِ.

كانَتْ هَذه اللّوزةُ عزيزةً عندَهُ، على رُغْمِ أنّها كانَتِ السّبب في مقتلِ زوجتِهِ المرحومةِ. لقدْ زرَعَها جَدُّه، أو لعلّها ببتَتْ هُناكَ بِلا زرعٍ، مِن بِزرةٍ رَماها والدُه أو أحدُ أعمامِهِ حينَ كانوا أطفالاً صِغاراً. وكبِرَتِ اللّوزةُ، وخيّمَتْ فوقَ جُنَينةِ البيتِ، وصارَتْ أَعلى مِنَ السّطحِ، وقَطفوا مِنْها اللّوزَ أكياساً كلَّ سنةٍ. كانَتْ زوجتُه مَرْيَمُ تَصعدُ إلى أعلاها كلَّ سنةٍ في مِثلِ هَذه الأيّامِ، في آخِرِ الصّيفِ، فتَجمعُ اللّوزَ في أكياسٍ صغيرةٍ تَربُطُها مِن أفواهِها وتَرميها إلى الأرضِ. والويلُ لِمَن يَجرؤُ مِن الأولادِ على فتحِ الأكياسِ! لقَدْ منعَتْهُم مِن أكلِ اللّوزِ أخضرَ ويابساً، لأنّها كانَتْ تُعِدُّه للبيعِ وتُبقي قِسماً قليلاً مِنْه لحَشْوِ الدّجاجِ أو السّبوسِكِ حينَ يَحِلُّ العيدُ. وحدَثَ مُنذُ ثَلاثِ سَنواتٍ أنْ طلَعَتْ إلى رأسِ الشَّجرةِ على عادتِها، وفيما كانَتْ تَتطاوَلُ للوصولِ إلى أَعلى الغُصنِ، إذا بها تَهوي إلى الأرضِ جثّةً بلا

حَراكٍ، لأنَّ الغصنَ الّذي اعتمدَتْ عليْهِ كانَ **نَخِراً** بالياً.

مِن ذَلكَ الحينِ عَرَفوا أنَّ **الفَناءَ** قدْ دَبَّ في اللَّوزةِ، وأنَّ أغصانَها أصبحَتْ نَخِرةً جَوفاءَ، وأخذَتْ تَتلاشى يوماً بعدَ يومٍ... كلُّ شيءٍ له آخِرَةٌ. لعلَّ بيتَهُ أيضاً أخذَ يَدِبُّ فيه الفَناءُ مُنذُ أنْ ماتَتْ زوجتُه المرحومةُ وتَبِعَتْها اللَّوزةُ الجبّارةُ. لقَدْ كانَ ذَلكَ كلُّه نذيرَ **شُؤمٍ**.

لَم يُحزِنْهُ كثيراً وفاةُ زوجتِهِ، على رُغْمِ أنَّها كانَتْ **عِمادَ** البيتِ، تقومُ وحدَها، مِن غَيرِ مساعَدةِ أحدٍ، بالأشغالِ المنزليّةِ كلِّها. صحيحٌ أنَّ زواجَهُ كانَ موفَّقاً، وأنَّ الحظَّ حالفَهُ منذُ تزوَّجَها، فزادَتْ مساحةُ أرضِهِ مِن ثلاثةِ فدادينَ إلى خمسةٍ؛ لَكِنَّهُ على رُغْمِ إعجابِهِ بقوّةِ **بُنْيَتِها** ومَتانَةِ عَضلاتِها وقُدْرتِها على العملِ، لَم يَستطِعْ أنْ يَنسى أنَّها كانَتْ خادمةً عِندَهُ قبلَ أنْ يتزوّجَها، وأنَّ

النّخرُ: البالي، المتفتّتُ.
الفناءُ: الهلاكُ والموتُ.
الشُّؤمُ: ضدُّ اليُمْنِ والفأْلِ والبركة.
العمادُ: ما يُسنَدُ به ويُعتمَدُ عليه.
البُنيةُ: تركيبةُ الجسَدِ ومادّتُه الّتي يُبنى منها.

هَذا الزّواجَ أورَثَهُ شعورَ الذُّلِّ والإنكسارِ. وعَبثاً حاولَ التّغلُّبَ على هَذا الشّعورِ الخَفيِّ، فكانَ يَجتنبُ الظّهورَ في المُجتمعاتِ، ويَتظاهرُ أمامَ النّاسِ باللّامبالاةِ.

خَدَمَتْهُ في تَربيةِ القَزِّ مدّةَ خَمسِ سَنواتٍ مُتواليةٍ. ولِشدّةِ إعجابِهِ بمهارَتِها كانَ يَحسِمُ قِسماً مِن أُجرتِها كلَّ سنةٍ على أمَلِ أنْ تعودَ في السّنةِ التّاليةِ لتَستوفيَ حقَّها وتَستأنِفَ عملَها. ولمّا صارَ لها في ذِمَّتِهِ عَشْرُ ليراتٍ ذهبيّةٍ وطالبَتْهُ بها، نَصحَهُ والدُه المرحومُ أنْ يتزوّجَها فيُخلِّصَ نَفسَهُ مِن دَفعِ المبلغِ. وهَكذا كانَ. لقَدْ وفَّرَ أُجرتَها طَوالَ عُمرِها، ولَم يَستأجِرْ مِن ذَلكَ الحينِ مَن يُعاوِنُه في أشغالِ القَزِّ أو في أعمالِ البيتِ. كانَ شغلُها يعادِلُ شُغلَ ثلاثِ نساءٍ مجتمعاتٍ، بَل شُغلَ ثلاثةِ رجالٍ: **تَمشُقُ ورقَ التّوتةِ** في طَرْفةِ عينٍ، تُطعِمُ ديدانَ **الخُصّ** في بضعِ دقائقَ، تَحملُ على رأسِها أثقلَ الأحمالِ. ووَلَدَتْ له خمسةَ أولادٍ في خلالِ سَبعِ

مشق ورقَ التوت أو غيره: قطعهُ بمرِّ يديْه على الغصن سريعاً.
الخُصُّ: البيتُ من قصبٍ أو شجرٍ.

سنواتٍ، أربعَ بناتٍ، ثمّ الصّبيَّ، الّذي زالَ النّحسُ بِولادَتِهِ. لِهَذا سمّاهُ سَعيداً. ورَأى أنْ يَكتفيَ بخمسةِ أولادٍ، فما كبِرَتِ البناتُ حتّى سارعَ إلى تزويجِهِنَّ الواحدةُ بعدَ الأُخرى، فكانَ يُعطي الواحدةَ مِنهنَّ لأوّلِ طالبٍ، مِن غَيرِ تردُّدٍ أو مُماطلةٍ. أمّا سَعيدٌ، فرَأى أنْ يؤخِّرَ زواجَهُ حتّى سنِّ الثّلاثينَ، فقَدْ تزوَّجَ هو في هَذه السّنِّ وحالَفَهُ التّوفيقُ، فلا بُدَّ أنْ يُحالِفَ ابنَهُ أيضاً... لقَدِ اشترَوْا في تِلكَ السّنةِ - سنةِ بلوغِهِ الثّلاثينَ - **الفدّانَ** الخامسَ مِنَ الأرضِ، وكانوا يَتهيّؤونَ لتزويجِهِ حينَ حدثَتِ **الفاجعةُ** وماتَتْ مَرْيَمُ.

لَكنّهُ لَم يلبَثْ حتّى احتفلَ بتزويجِ الصّبيِّ لأنَّ البيتَ في حاجةٍ إلى امرأةٍ تقومُ مَقامَ الزّوجةِ الرّاحلةِ. تسرَّعَ في اختيارِ العروسِ كأنّما كانَ على عَينَيْهِ **غِشاوةٌ** كثيفةٌ فلَمْ يُبصِرِ العَواقبَ. كانَتْ كَنّتُهُ مِن أسرةٍ ذاتِ ماضٍ

الفدّانُ من الأرضِ: ما يحرُثُه الفدّانُ أي الثّورانِ في يَومٍ واحدٍ.
الفاجعةُ: المُصيبةُ العظيمةُ.
الغِشاوةُ: الغطاءُ.

عريقٍ، أُصيبَتْ بالفَقرِ بعدَ غِنىً، وتَعوّدَ أعضاؤها **التَّرَفَ** والخُمولَ. أرادَ بهَذا الزّواجِ أنْ يَمحوَ عارَ زواجِهِ بمَرْيَمَ، أنْ يُصاهِرَ الأَكابِرَ وأهلَ البيوتِ لعَلَّهُم يُلقونَ عَلَيْهِ ظِلّاً مِن عظَمَتِهِم. ويا لَيْتَهُ رَضيَ بوَضعِهِ ولَمْ تساوِرْهُ فِكرةُ العظَمةِ الّتي جرّت علَيْهِ المَصائبَ!...

ما أشدَّ الفرقَ بَينَ مَرْيَمَ القَرويّةِ المُمتلئةِ نشاطاً، وهَذه الفتاةِ الّتي لا تَعرفُ كيفَ **تَحُلُّ سَيرَ** حذائِها، والّتي تَقضي نهاراً كاملاً في صُنعِ طبخةِ مَحْشيٍّ، في حينِ كانَتْ زوجتُه تَنهَضُ قبلَ شَقِّ الفجرِ فتَكْنِسُ وتَغسِلُ وتَطبُخُ، وأهلُ البيتِ نِيامٌ...

وزادَ الطّينَ بِلّةً أنّها، مُنذُ زواجِها، أيْ مُنذُ ثلاثِ سنواتٍ، أَخذَتْ تَزدادُ نُحولاً. وعَبَثاً كانَ يَنتظِرُ، هو وابنُه، أنْ تَحمِلَ وتَلِدَ له حفيداً يفرَحُ به ويَرِثُ فَدادينَهُ. لَقَدْ قَطَعَ الأملَ، وأَصبحَ كمَنْ يَنتظِرُ مِن **العَوسَجِ** تيناً أو

التّرفُ: التَّنعُّمُ ورَغَدُ العيشِ.
تحُلُّ: تَفُكُّ.
السّيرُ: الشّريطُ.
العوسجُ: نوعٌ مِن الشّجرِ الشّائكِ.

مِن الشّوكِ عِنباً. وكَم أَنفقَ مِنَ المالِ في مُعالجتِها فلَمْ ينفَعْ فيها علاجٌ، ولَم تَزِدْ إلّا ذُبولاً ووَهْناً.

كانَ غارقاً في أحلامِهِ بجانِبِ السّياجِ حينَ سمعَ صوتاً خَشِناً يُناديهِ:

ـ نهارُكَ سَعيدٌ يا أَبا سَعيدٍ.

انتفضَ والتفَتَ ناحيةَ الصّوتِ، فإذا هُناكَ الخادمةُ العجوزُ الّتي اضطُرَّ أخيراً إلى استئجارِها لمُعاوَنةِ كَنَّتِهِ في أعمالِ البيتِ. رآها مُنْهمكةً في نشرِ الثّيابِ على الحبلِ المنصوبِ في الجُنينةِ؛ وإذ أَنهَتْ عملَها مشَتْ نحوَهُ وبَدأَتْ تُحدِّثُه مِن غيرِ كُلفةٍ كأنَّها واحدةٌ مِن أهلِ البيتِ:

ـ أراكَ مهموماً شاردَ الفِكْرِ. أنا أعرفُ سببَ همِّكَ. هو حُزنُكَ على المرحومةِ.

ظلَّ أبو سَعيدٍ ساكتاً، في حينِ غمزَتِ المرأةُ بعَينِها وقالَتْ:

مُنْهمكةٌ: مشغولةٌ بجدٍّ واهتمامٍ.

ـ وهُناكَ أمورٌ أُخرى تُزعجُكَ... نعمْ... همٌّ كبيرٌ جدّاً يَحرُمُكَ النّومَ والرّاحةَ... ابنُكَ وحيدٌ وفي حاجةٍ إلى **وَليّ عهدٍ**...

تنهّدَ أبو سَعيدٍ وقالَ:

ـ اللهُ كريمٌ.

وتابَعَتِ المرأةُ مِن غَيرِ رَحمةٍ:

ـ لا هَمَّ أكبرُ مِن هَذا الهَمِّ... لمَنْ تَتركُ هَذه الفداديَن الّتي تَملِكُها؟ إنَّ كَتَكَ مِثلُ العودِ اليابسِ... يا حَسرةُ!

في اليومِ التّالي أعادَتِ المرأةُ العجوزُ على سَمْعِهِ أقوالاً بهَذا المَعنى، ردَّدَتْها مِن غَيرِ **اكتراثٍ**، كأنَّها تلميذٌ يَتلو على معلّمِهِ أُمثولةً مستظهَرَةً، لَكنَّها تركَتْ في نفسِ أبي سَعيدٍ أثَراً مِثلَ الّذي يَترُكُه هبوبُ الرّيحِ فوقَ الجمرِ الّذي يَكادُ **يَخبو**.

وَليُّ العهدِ: وريثُ المُلكِ، والمقصودُ هنا الولدُ الّذي سيرثُ أباه.
الاكتراثُ: الاهتمامُ.
يخبو: يطفئُ.

فاجَأَتْهُ مرّةً بسؤالِها:

ـ لِم لا تَتزوَّجُ فتُرزَقَ أولاداً؟

فبُهِتَ وقالَ:

ـ في هَذه السّنِّ؟

قالَتْ:

ـ لا تَزالُ لكَ هِمّةُ الشّابِ. جِسمُكَ مِثلُ الحديدِ. أَحسنُ بنتٍ تَتمنّى أَنْ تكونَ لكَ روجةً ما دامَ الرّزقُ باسمِكَ.

ـ لَم تَبقَ لي رغبةٌ في الزّواجِ الآنَ.

ـ أنْتَ مُخطئٌ. إنْ لَم تَتزوَّجِ الآنَ فستَندَمُ فيما بَعدُ. فالإنسانُ لا يعيشُ أَبداً. إنَّكَ في حاجةٍ إلى وريثٍ. دَعِ الأمرَ لي، وأنا أُدبِّرُ لكَ بنتَ حَلالٍ تُعجِبُكَ.

أَخذَتِ الفِكرةُ الّتي أَلقَتْها المرأةُ في رأسِ أَبي سَعيدٍ تَختمِرُ وتَنمو، وتُلازِمُه في مَنامِهِ وفي قِيامِهِ. لِمَ لا يَتزوَّجُ؟ لِمَنْ يَتركُ حمسةَ فدادينَ شربَتْ مِن عرَقِ جبينِهِ ما يُعادِلُ ثِقلَ تُرابِها؟ كثيرونَ تَزوَّجوا في مِثلِ سِنِّهِ، أو كانوا يَكبُرونَهُ بعَشْرِ سَنواتٍ، ولَم يَتفِتوا إلى

أقوالِ النّاسِ. وبَعدُ... أيُّ عارٍ في هَذا؟ ألَيسَ حُرّاً يَفعلُ ما يَشاءُ؟

بعدَ حَيرةٍ دامَتْ بِضعةَ شُهورٍ صحَّ عَزمُه على الزّواجِ، لَكِنّهُ لَم يُرِدْ أنْ يكونَ زواجُه على يدِ العجوزِ لأنّهُ خافَ أنْ تخدَعَهُ أو أنْ تُطالِبَهُ بِسَمْسَرةٍ. وخطرَتْ له فِكرةٌ شدّدَتْ عَزمَهُ، وهي أنْ يذهبَ إلى قريةِ زوجتِهِ مَرْيَمَ... مَرْيَمَ الّتي لَقِيَ الخَيرَ على وَجهِها، فيَتزوَّجَ مِن هُناكَ بنتاً جبليّةً مفتولةَ السّاعدَيْنِ يَطفِرُ الدّمُ مِن وَجهِها، ويَعودَ بها إلى قريتِهِ ويُسكِنَها جانباً مِن دارِهِ الواسعةِ. ولَن يُخبِرَ أحداً بما عَزمَ علَيْهِ.

وحزَمَ حقيبَتَهُ، ووضَعَ في كيسِهِ قِسماً مِنَ اللّيراتِ الذّهبيّةِ المكدّسةِ في صُندوقِهِ، وشدَّ لَبّادتَهُ بلفّةٍ مخطَّطةٍ، وأعلَمَ ابنَهُ بأنّهُ ذاهبٌ ليَستطلعَ أخبارَ أقاربِ زوجتِهِ المرحومةِ، وربّما أقامَ عندَهُم أيّاماً.

وصلَ إلى القريةِ على ظَهرِ حمارٍ، وأمامَهُ خُرجٌ ملأَهُ بمَقاديرَ مِن الخُضَرِ والفاكهةِ السّاحليّةِ كانَتْ هديّتَهُ لِفارسٍ شقيقِ زوجتِهِ. ولَبِثَ في بيتِهِ مدّةً يَبحثُ

عَن عروسٍ. فعرَضَ علَيْهِ بعضُ أهلِ القريةِ أرملةً ذاتَ أولادٍ فلَمْ يَرضَ بها. أخيراً عثرَ على فتاةٍ تُشبِهُ زوجتَهُ مَرْيَمَ في ضخامةِ جِسمِها وطولِ قامتِها. ورَضيَ أهلُ الفتاةِ بأَنْ يُزوِّجوها به، مقابِلَ ستّينَ ليرةً ذهبيّةً نَقَدَهُم إيّاها دَفعةً واحدةً. وعادَ بالعروسِ إلى قريتِهِ بعدَ أنْ أنفَقَ شهرَ العسلِ في بيتِ حَميهِ.

وما إنْ وصلَ إلى بيتِهِ حتّى رأى الحزنَ مُخيِّماً، وأصداءَ النَّدبِ والعويلِ تَتردّدُ في أرجائِهِ: رأى ابنَهُ قدْ صبغَ طربوشَهُ بالسّوادِ، وجلسَ يستقبِلُ أفواجَ المُعَزّينَ، فعرَفَ أنَّ كَنَّتَهُ قدْ ماتَتْ إثرَ نَوبةٍ قلبيّةٍ مفاجِئةٍ...

أُصيبَ أبو سَعيدٍ بذُعرٍ شديدٍ وصَدمَتْهُ المفاجأةُ. فأخذَ يَلطِمُ رأسَهُ ويُردِّدُ: «يا لَلْمُصيبةِ! يا لَلتَّعاسةِ! أَمَناحَةٌ وعُرسٌ في آنٍ معاً؟ ما كانَ أَغباني حينَ تَسرَّعْتُ وخانَني الصَّبرُ! ما كانَ أَشدَّ حُمْقي حينَ أَصغَيْتُ إلى

المناحةُ: النُّواحُ والنَّدبُ والبكاءُ بصِياحٍ وعويلٍ.

تِلكَ العجوزِ المشؤومةِ! لقَدْ كانَ ابني أَولى مِنّي بِهَذا الزّواجِ الّذي كلّفَني ستّينَ ذهبيّةً... ستّينَ ذهبيّةً... يا لَلْخَسارةِ!»

مِن ذَلكَ الحينِ لَزِمَ أَبو سَعيدٍ غرفتَهُ مُعْرِضاً عَن الظُّهورِ أمامَ النّاسِ. وأُصيبَ بِذُهولٍ أَفقدَهُ شهوَةَ الأَكلِ والرّغبةَ في الكلامِ واستبدَّ به **الأَرَقُ** فاشتدَّ **هُزالُه**.

وفي صباحِ أحدِ الأيّامِ وجَدوهُ مَيْتاً في فراشِهِ. أمّا العروسُ فرجَعَتْ إلى قريتِها.

الأرقُ: السّهادُ، ذهابُ النّوم.
الهُزالُ: الضّعفُ والنُّحولُ.

الاستثمارُ التّربويُّ

1 الدوطَةُ

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1. لماذا كانَتْ جَلَساتُ النّساءِ في القَريةِ تَطولُ ساعاتٍ؟
2. ما الانطباعُ الّذي تكوَّنَ لَديكَ عَن أولائِكَ النّسوةِ؟
3. ماذا عَنَتِ النّساءُ بقَولِهِنَّ عَن بهيجِ ابنِ البَيكِ: مَن يَقِفُ قدّامَه؟ ولماذا؟
4. ما التّبدُّلُ الّذي شعرَتْ به سُميّةُ بعدَ عودتها من «الإسكندريّة»؟ وما سبَبُه في رأيك؟
5. ما كانَتْ رَدّةُ فعلِها تُجاهَ هَذا التّبدُّلِ؟ ولماذا؟
6. في القصّة ما يَدُلُّ على ظُلمِ الحياةِ للفتاةِ القرويّةِ بعامّةٍ؛ ما الأحداثُ الّتي تُبيِّنُ هَذا الظُّلمَ؟ وما مَوقِفُكَ مِنها؟
7. لماذا رفضَتْ سُمَيّةُ بهيجاً الّذي «تتمنّى مِثلَهُ كلُّ بنتٍ في البلدة»، على حدِّ ما تَراهُ أمُّها؟
8. كيفَ تَحكُمُ على سُميّةَ مِن خلالِ هَذا الرّفضِ؟ مِن خلالِ ما فعلَتْهُ لأُختِها سامية؟

2 من وَحْيِ النّصِّ

1. كيفَ يَشيعُ الخبرُ ويَنتشِرُ في القُرى؟ ولماذا؟
2. لماذا تَتبدَّلُ حياةُ الوَلدِ بعدَ موتِ أبيهِ أو أمّهِ؟
3. كانَتْ سُمَيّةُ «تَحلُمُ وهِيَ في العاشرةِ، بمُستقبَلٍ باهرٍ»، ما

المستقبلُ الباهرُ الّذي تحلُمُ بهِ أنتَ؟

4. هل يصحُّ أنْ يَختارَ الأهلُ العريسَ لِابنتِهِم، ويُجبروها على الزّواجِ بهِ؟ لماذا؟

5. هَل تَرى فَرقاً بينَ العَطفِ على الإنسانِ، والإشفاقِ عليْه؟ وضِّحْ إجابَتكَ استناداً إلى براهينَ وحُججٍ مُقنعةٍ.

6. كيف تجيبُ أنت عن الأسئلة الّتي وردتْ في القصّة على لسان سُمَيّة، عندَما سمعَتْ قصّةَ أُختِها سامية: هَذه المسكينةُ، ما ذَنبُها؟ وما ذَنبُ شفيقٍ إذا كان فقيراً؟ أيُضحّون بهما من أجل المالِ؟ أمْ يُرسلونَ الفتاةَ إلى الدّيرِ؟

(3) في التعبيرِ واللُّغةِ

1. فتّشْ في القصّة عن مُرادفاتٍ للكلمات والتّعابير التّالية:
عَلاماتُ الجِدّةِ (ص 5) - النّبأُ الثّابتُ والواضحُ (ص 6) - تعدّتِ العمرَ (ص 7) - تُطيلُ إليْها النّظرَ (ص 8) - تزوّجتْ (ص 9) - غدٍ مُضيءٍ مُشرقٍ (ص 10) - يَجودونَ به (ص 11) - تخيّلتْ وتصوّرتْ (ص 12) - ترفُضانِ النّومَ (ص 13) - استِصغارٍ وعدمِ اهتمامٍ (ص 16).

2. ما المعنى الكامنُ في كلٍّ من الكناياتِ التّالية:
بثوبٍ واحدٍ لا تُبدِّلُه بسواهُ - كانَتْ تَشتعِلُ بإبرتها - لَم يترُكْ لها سوى مالٍ في ذِمّة النّاس - أهلُه ذوو مالٍ وجاهٍ وأرزاقٍ واسعةٍ - تمشي بين النّاسِ شامخة الرّأس - قومٌ يحتكرون المال ولا يجودون بالفلس - صبَغ خدَّيْها الاحمرارُ؟

3. عادتْ سُميّةُ إلى «مصر»، تخيّلْ ما حصل لها بعدَ عودتِها،

وأحزانَاهُ في ما لا يُجاوِزُ عَشَرةَ سطورٍ.

4. حدِّدْ وَجهَ الشَّبَهِ واشرَحْهُ، في العبارةِ التّاليةِ: «هَبطَ على النّسوةِ هُبوطَ الغَيثِ على الأرضِ اليابسةِ».

5. استخرجْ جموعَ المؤنّثِ السّالمةَ مِنَ المَقطعِ الأوّلِ في القصّةِ، وبيِّنْ محلَّ كلٍّ منْها في الإعرابِ.

6. حوِّلْ كلَّ مؤنّثٍ (فعلٍ أوِ اسمٍ أو ضميرٍ) إلى صيغةِ الجمعِ، حيثُ يَجبُ، في ما يلي: هَذهِ الأمُّ الّتي كانَتْ تشتغلُ بإبرتِها مُنذُ زواجِها الأوّلِ، لا تَزالُ تَشتغِلُ بها الآنَ، وقدْ جاوزَتْ مُنتصفَ العُمرِ. هَذه الأمُّ الّتي تَرعاها الآنَ بعطفٍ جديدٍ، كانَتْ تَنظُرُ إليْها...

معركةُ «عنجر»

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1. لخِّصْ لنا صفاتِ الأميرِ فخرِ الدّينِ الثّاني، خَلْقاً وخُلُقاً، من خلالِ هذه القصّةِ.

2. كانَ لوالدةِ الأميرِ السّتِّ نسبَ أثرٌ كبيرٌ في شخصيّةِ فخرِ الدّينِ وانتصاراتِه؛ أينَ بَدا لكَ هَذا الأمرُ في القِصّةِ؟

3. ما كانَتْ أبرزُ مَواردِ لبنانَ الاقتصاديّةِ أيّامَ فخرِ الدّينِ؟

4. لماذا اضطربَ فخرُ الدّينِ وانتابَهُ الغضبُ والانفعالُ الشّديدُ، عندَما قرأَ الرّسالةَ؟

5. لماذا انتصرَ الأميرُ على أعدائِهِ، على رُغمِ عدمِ التّكافُؤِ في أعدادِ الجيشَيْنِ؟

2 مِن وَحْيِ النّصّ

1. هَل تَعرفُ ماذا حلَّ بالقصر الّذي بَناهُ فخرُ الدّين في «بيروت»؟
2. ماذا كانَتِ «الآستانةُ» أيّامَ فخرِ الدّينِ؟ وما اسمُها اليومَ؟
3. ماذا تَعرفُ عَن سياسةِ فخرِ الدّينِ الثّاني ومآثِرِه؟
4. هَل تَعرفُ لماذا سُمّي الشّيعةُ بالمتاولةِ؟ حاوِلْ أنْ تبحثَ عن الأمرِ في القاموسِ.
5. مَن الّذي لقّبَ الأميرَ فخرَ الدّينِ الثّاني بِـ «سُلطانِ البَرّ»؟ ولماذا؟
6. ما السّلاحُ الأبيضُ؟ ولماذا يُسمّى بهذا الاسمِ؟

3 في التّعبيرِ واللّغةِ

1. أعِدْ، بلُغتِكَ، صياغةَ العباراتِ التّاليةِ، مُحافظاً على المعنى:
   - وإذْ ذاكَ يُحوّلُ الأميرُ بَصرَهُ ناحيةَ الشّرقِ، ليُلقيَ نظرةَ عطفٍ على الجبلِ الأشمِّ مَعقِلِ المَعنيّينَ.
   - ما إنْ قرأَ الورَقةَ حتّى انكمشَتْ مَلامحُه وفارَقَهُ زَهْوُه.
   - نهضَ مِن مقعدِهِ وأخذَ يَذرعُ الأرضَ ويَعبثُ بِلحيتِهِ، على عادتِهِ في ساعاتِ الغضبِ والانفعالِ الشّديدِ.
2. كانَتْ أمُّ الأميرِ تُردّدُ على سَمْعِهِ: «الدّهرُ دولابٌ، والدّنيا لا تدومُ على حالٍ»: اشرحْ هذا الكلامَ، وبيّنْ غايةَ الأمِّ من ترديدِهِ.
3. عيّنِ الأسماءَ المنصوبةَ في ما يلي، وبيّنْ سببَ نصبِ كلٍّ منها:

«وداعبَ أنفَهُ عطرُ الياسمينةِ المُنتشِرُ، فعَبَّ منها ملءَ رئتَيْهِ...

ألمْ يقضِ على أعدائِهِ واحداً تِلوَ آخرَ، وَفقاً للخِطَّةِ الّتي رسَمَها قبلَ سنواتٍ».

4. فصِّلْ إعرابَ كلماتِ العبارتَيْنِ التّاليتَيْنِ:
ما أصدقَ هَذا القَولَ - لَكنَّ رِجالَكَ أعظمُ بَأساً.

11 موكبُ البُؤس

أ) في الفهمِ والتّحليلِ

1. هل أعجبَتْكَ فكرةُ الملكِ في جمعِ التُّعساءِ والمتألِّمينَ ليَستمعَ إليْهِم؟ لماذا؟
2. ألا يتحمّلُ الملكُ مسؤوليّةَ وصولِ أبناءِ رعيّتِه إلى الحالاتِ الّتي أرادَ مُعالجتَها؟ لماذا؟
3. عندَ فشلِ الأطبّاءِ في إيجادِ علاجٍ لعُقمِ عددِ الأزواجِ، قدّموا لهُم عدداً من الأطفالِ على سبيلِ الهدايا، هل يجوزُ أنْ يُصبحَ الأولادُ هدايا تُهدى إلى الآخرينَ؟ كيفَ تفسّرُ هذا الأمرَ؟ وما رأيُكَ فيه؟
4. هل ترى أنَّ العلاجَ الّذي اقترحَهُ الملكُ على الفتاةِ الّتي تحبُّ فتىً لا يُحبُّها، سيُفيدُها ويُخلِّصُها مِن دائِها؟ لماذا؟
5. وهل أعجبَكَ العلاجُ الّذي اقترحَهُ الملكُ على المريضِ بداءِ الجشعِ؟ لماذا؟
6. بينَ أخبارِ أبناءِ الرّعيّةِ حالتانِ تُبيّنانِ ظُلمَ بعضِ الأهلِ لأبنائِهِم، ونتائجَ هذا الظُّلمِ على المظلومِ والظّالمِ معاً، دُلَّ على هاتيْنِ الحالتَيْنِ، وبيِّنِ الظُّلمَ وما نتجَ منهُ، مبدياً رأيَكَ.

هل ترى أنّ الملكَ مسؤولٌ عن عدمِ مُعالجةِ قضايا النّاسِ الّذين لا يُعلنونَ حالاتِهم ويَبقَونَ ساكتينَ جهلاً أو خوفاً أو كِبْراً؟ لماذا؟

8 وهل تَراهُ وَجَدَ في الحُلمِ طريقةً لحلِّ قضاياهُم؟

2 من وَحْيِ النّصّ

1 لو كُنتَ من أهلِ تلكَ المملكةِ، وكانتْ لديكَ مُشكلةٌ شبيهةٌ بمُشكلاتِهم، أفمِنْ بينِ الّذين عبّروا عن حالاتِهم كُنتَ أمْ من بينِ الّذين لم يُعلنوا ولم يُعبّروا؟ لماذا؟

2 ولو كُنتَ أنتَ المَلِكَ، فهل كُنتَ وَصَفْتَ العلاجَ نفسَهُ لكلِّ حالةٍ مِنَ الحالاتِ المعروضةِ؟ لماذا؟

3 إذا كانتْ لديكَ مُشكلةٌ تُفتِّشُ لها عن حلٍّ، فإلى من تلجأُ لحلِّها؟ ولماذا؟

4 أحُكْماً مَلَكيّاً تُفضِّلُ أمْ حُكْماً جمهوريّاً ديمُقراطيّاً؟ لماذا؟

5 هل تعرفُ دُولاً مُعاصرةً لا يزالُ الحُكمُ فيها مَلَكيّاً؟ عدِّدْها.

3 في التّعبيرِ واللُّغةِ

1 نامَ الملكُ وهو يحلُمُ بما قالهُ صاحبُ الصّوتِ الخفيِّ، تخيَّلْ مضمونَ حُلمِهِ، وأخبِرْنا إيّاهُ بأسلوبٍ شائقٍ.

2. في الكلامِ التّالي المُستوحى مِنَ القِصّةِ، أخطاءٌ لغويّةٌ وإملائيّةٌ؛ استخرِجْها وصَحِّحْها ذاكراً السّببَ:

احْتشدَتِ الجماعاتِ في قصرِ المَلِكِ، وقد هُيّأ لهُم أطبّاءٌ وحُكماءٌ يُداووهُم جسماً وروحاً، إذْ يحصُلُ كثيراً أنّ العذابِ الجسميّةِ

والنّفسية تجتمعُ في شخصٍ واحدٍ.

3 حوِّلْ ما تحتَهُ خطٌّ إلى صيغةِ المُفردِ فصيغةِ المثنّى:

كان فيهم فقراءُ يحتاجون إلى مالٍ أو مَسكنٍ وغذاءٍ، ومعالجتُهُم في مُنتهى السُّهولةِ، وكان فيهم مرضى مزمنون نقلهُمُ الأطبّاءُ إلى المُستشفياتِ والمصحّاتِ ليكونوا هناك قيدَ المعالجة.

4 فصِّلْ إعرابَ «ذَوو» و«ذَوي» في العبارتَيْنِ التاليتَيْنِ:

كان هُناك ذوو النُّفوسِ المُثقلة بالهموم - اهتمَّ الملكُ بمُواجهة ذوي العِللِ المُستعصية.

4 في القطارِ

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1 في أيِّ بلدٍ تَجري أحداثُ هَذه القِصّةِ؟ كَيفَ عرفْتَ؟

2 «إنّهُ أقربُ إلى الانطباعيّين منهُ إلى مدرسةِ الرّسمِ الحديثِ»، حاوِلْ أنْ تُبيّنَ الفرقَ بَينَ المدرسةِ الانطباعيّةِ في الرّسمِ، ومدرسةِ الرّسمِ الحديثِ.

3 هَل كانَ الشّابُّ الرّسّامُ يَعتاشُ مِن بيعِ لَوحاتِهِ؟ ما دليلُكَ؟

4 هل تَبيّنتْ لكَ جنسيّةُ هَذا الشّابِّ؟ وجنسيّةُ المَرأةِ؟ كيفَ عرفْتَ؟

5 لماذا تفاجأتْ إيناسُ بطلبِ الشّابِّ الزّواجَ بها؟ ولماذا تردّدتْ في جوابِها؟

6 على رُغمِ أنّ زوجَ إيناسَ الأوّلَ كانَ غنيًّا جدًّا، لم تكُنْ هي سعيدةً في حياتِها الزّوجيّةِ؟ لماذا في رأيِك؟ أفلا يكفي الغنى

المادّيُّ ليؤمّنَ السّعادةَ للإنسانِ؟ علّلْ إجابَتكَ.

7. هَل كانَ قرارُ إيناسَ حكيماً في تَرْكِ الفندقِ والابتعادِ عَنِ الشّابِّ؟ لماذا؟

8. في ضوءِ ما حدّثَتْ به السيّدةُ الأنيقةُ إيناس، هل تظنُّ أنّ هذا الشّابَّ واحدٌ من أولئكَ الشّبّانِ المتعطّلينَ الّذينَ وصفتْهُم؟ لماذا؟

(2) مِن وَحْيِ النّصّ

1. وردَ في أوّلِ القصّةِ ذكرُ جبالِ «الألب»، ماذا تعرفُ عن هذه الجبالِ: مَوقِعاً وارتفاعاً وامتداداً ومميّزاتٍ؟

2. لو خُيِّرْتَ بين السّفرِ في القِطارِ الفائقِ السّرعةِ (TGV) والسّفرِ في القطارِ العاديِّ الأقلِّ سُرعةً، فأيَّ السّفرَيْنِ تُفضّلُ؟ ولماذا؟

3. لا بدَّ أنْ تكونَ لكَ هوايةٌ مفضّلةٌ، أفنّيّةٌ كانَتْ أمْ غيرَ فنّيّةٍ، ما هِيَ؟ ومتى وكيفَ تُمارسُها؟

4. إذا ركِبْتَ قطاراً أو حافلةً أو سيّارةً مع ناسٍ لا تعرِفُهُم، أتُبادلُهُم بالحديثِ أمْ تكتفي بالصّمتِ ومُراقبةِ المشاهدِ عَبْرَ النّافذةِ؟ لماذا؟

(3) في التّعبيرِ واللُّغةِ

1. تخيّلْ ماذا فعلَ الشّابُّ عندما جاءَ إلى الفُندقِ، واكتشفَ أنَّ السيّدةَ إيناسَ قدْ غادرَتْهُ وسافرَتْ.

2. ضَعْ سؤالاً مناسباً لكلٍّ مِنَ الإجاباتِ التّاليةِ.

س: ____________________

ج: بلى، كُنتُ مسافراً في القطارِ السّريعِ.

س: ______

ج: صادفتُها عندَما كُنتُ مسافراً في القطارِ.

س: ______

ج: نعم، أعجبتني جدّاً

س: ______

ج: لأنّها كانتْ لطيفةً وحميمةً.

س: ______

ج: أجلْ، كانتْ آتيةً من «إيطاليا».

س: ______

ج: تمنّيْتُ لو تُصبحُ شريكة حياتي.

س: ______

ج: لأنّ القِطارَ قدْ صفرَ، وانهمَكَ الرُّكّابُ بجَمعِ أمتعتِهِم.

س: ______

ج: لا، لأنّها لَمْ تعرّفني بنفسِها.

3. اجزِمْ أفعالَ العباراتِ التّاليةِ، واضبطْها بالشّكلِ التّامّ:

يَمرُّ القطارُ قُربَ بيتِنا ـ النّسوةُ يَشكونَ مِن دخانِهِ وصوتِهِ، والرّجالُ يرحونَ مِهنَ الصّبرَ والتّحمُّلَ ـ ينسى الكسولُ فروضَهُ ويرمي أشياءه بلا ترتيبٍ ـ ينامُ الأطفالُ باكراً ويحلمونَ أحلاماً جميلةً ـ يَسطو اللّصوصُ على البيوتِ ويَغزونَ النّاسَ الأغنياءَ ـ الفتياتُ يَقضينَ عُطلةَ الأعيادِ معاً.

4. علّلْ كتابةَ الهمزةِ في كلٍّ مِنَ الكَلِماتِ التّاليةِ:

متأخّرةٍ ـ هانئ ـ لِقاؤها ـ المائيّةُ ـ الرّؤوس ـ شيْء ـ تأثير ـ أفتحرؤُ ـ هادئةٌ ـ المرأتَيْن.

① في الفَهمِ والتّحليلِ

1. ما الفرقُ بَينَ نمَطِ حياةِ أُمّ محفوظٍ، ونمطِ حياةِ جارتِها سعدى؟
2. لماذا انجذبَتِ الكاتبةُ نحوَ أُمّ محفوظٍ مُذْ اللّقاءِ الأوّلِ؟
3. ما الّذي أعجبَ الكاتبةَ في القريةِ الّتي انتقلَتْ إليْها؟
4. ماذا عنت الكاتبةُ بقولِها: «سألقى وجوهاً غير مقنّعةٍ، ولن أسمعَ عباراتٍ لا يقصدُ أصحابُها غيرَ ما يقولون، فلا مكانَ عندهُم للمَلَقِ والدّعاياتِ»؟
5. بمَ ذكّرتْ غُرفةُ المؤونةِ الكاتبةَ، عند أُمّ محفوظٍ؟ وما الفرقُ الّذي لَحظَتْهُ الكاتبةُ بَينَ جدّتِها وأمّ محفوظٍ؟
6. لماذا رأت الكاتبةُ أنّ غُرفةَ أُمّ محفوظٍ محفوفةٌ بالأسرارِ؟
7. لماذا، في رأيِكَ، غيّرَتِ الكاتبةُ فِكرَها في اختيارِ عروسٍ لِمحفوظٍ؟ وهَل أقنعَتكَ جوابُها لِأمّ محفوظٍ؟ لماذا؟

② مِن وَحْيِ النّصّ

1. قالت الكاتبةُ: «رافقتني صُحبةُ لقرويّاتٍ... فلا مكانَ عندهُم للملقِ والدّعياتِ»؛ أتُوافقُ أنت الكاتبةَ على هذا التّعميمِ في وصفِ أهلِ القُرى؟ لماذا؟ أقنِعْنا بالحُجّةِ والبُرهانِ والأمثلة.
2. هَل تَرى القريةَ اليومَ كما كانَتْ في أيّامِ الكاتبةِ؟ لماذا؟
3. هَل تقبلُ أنت، متى صِرتَ مُهيّأً للزّواجِ، بأنْ يختارَ الأهلُ أو الأصحابُ عروسَكَ؟ لماذا؟

1 ما رأيك في الذين يمضون معظم أوقاتهم في لعب الورق وتدخين النارجيلة؟

3 في التّعبيرِ واللُّغةِ

1 ارسُمْ لوحةً بالكَلِماتِ لشخصيّةِ أُمّ محفوظٍ مِن خلالِ تصرُّفاتِها في القصّة.

2 عندَما سمعَتِ الكاتبةُ أُمّ محفوظٍ تقولُ عَن ابنِها: «يوزِّعُ الأدويةَ على رجاءِ أنْ يُصبحَ طبيباً»، قالت مبهوتةً: «قدْ تكونُ هناكَ عَلاقةٌ بَينَ توزيعِ الأدويةِ ومِهنةِ الطِّبِّ، ولكنْ...» حاوِلْ أنْ تُكمِلَ ما كانتْ تريدُ قولَهُ لو لم تُقاطعْها دخولُ الخادمة.

3 لجأتِ الكاتبةُ أكثر من مرّةٍ إلى الحشدِ اللّفظيّ؛ استخرِجْ مِن القصّة حشدَيْنِ لفظيَّيْنِ على الأقلّ، وبيِّنْ دورَ كلٍّ مِنْهُما في التّعبيرِ عن الفكرةِ أو المعنى.

4 استخرِجْ من المقطعِ التّالي: «كنتُ أنتظرُ أنْ أرى شابّاً... ليحتفي في غرفتِه». جميعَ النّعوتِ الواردة فيه، مميِّزاً النّعتَ الحقيقيَّ من النّعتِ السّببيّ، ومحدِّداً نوعَ النّعتِ الحقيقيّ (مفردٌ، جملةٌ فعليّةٌ أو اسميّةٌ أو شبهُ جملةٍ).

5 فصِّلْ إعرابَ كلماتِ الجُملتَيْنِ التّاليتيْنِ.
لا يُخامرُكَ شكٌّ في أنّي أحسنْتُ تربيتَهُ - شعرْتُ بأنّي قدْ حانَ لي أنْ أنصرفَ

6 مغارةُ الميلادِ

(1) في الفَهمِ والتّحليلِ

1. ما الأزمةُ النّفسيّةُ الّتي كانت الجدّةُ تجتازُها مُنذُ حداثتِها؟
2. كيفَ كانَتْ تَصنعُ مغارةَ الميلادِ معَ أخيها الأصغرِ؟
3. تأكّدَ للجَدّةِ عندَما كانَتْ صغيرةً، أنّ ما يطلبُهُ الإنسانُ إلى يَسوعَ ليلةَ الميلادِ يُستجابُ؛ ما الّذي أكّدَ لها هَذا الأمرَ؟
4. ما رأيُكَ في تصرُّفِ هَنا مِرعي وفي أخلاقِها؟
5. ما الّذي يدلُّ على أنّ والدَ الفتاةِ (الجدّةِ) كانَ رؤوفاً وصاحبَ كرامةٍ؟
6. لماذا تحيّرتِ الفتاةُ (الجدّةُ) في ما تطلُبُ إلى الطّفلِ يَسوعَ هَذه السّنةَ في ليلةِ الميلادِ؟ وماذا قرّرَتْ في النّهايةِ؟ ولماذا؟
7. كانتِ اللّيلةُ العاصفةُ مفيدةً للأبِ وللعائلةِ كلِّها فيما بعدُ؛ كيفَ ظهرَ هَذا الأمرُ؟
8. أجبْ عنِ السّؤالَينِ اللّذينِ طرحَتْهُما الجدّةُ في نهايةِ القصّةِ، معلّلاً إجابتَكَ.

(2) مِن وَحْيِ النّصِّ

1. هَل تَطلُبُ أنتَ إلى الطّفلِ يَسوعَ طِلبةً خاصّةً ليلةَ الميلادِ؟ لماذا؟
2. هل تحتقِرُ أنتَ رفيقاً أو رفيقةً لكَ «قليلي الحظِّ ممّا يسمّونهُ جمالاً»؟ لماذا؟
3. قالَ الأبُ: «ما أكثرَ اللُّطفَ الّذي يُخفي تحتَهُ خُبثاً ورياءً»: هل

توافقه في قوله؟ وهل تعرفُ أحداً يطبقُ عليه هذا القولُ؟

4 كان الأبُ موظّفاً ثمّ استقالَ لينصرفَ إلى مهنةٍ حرّةٍ هي صناعةُ الشّخوصِ واللُّعبِ؛ أوظيفةً براتبٍ تُفضّلُ أنت، أمْ مهنةً حرّةً؟ لماذا؟

5 كانَتِ الفتاةُ على وَشْكِ أنْ تَرُدَّ على شتائم هنا مرعي بتعييرِها أنَّ أباها عاملٌ في الأرض، وأمّها طاهيةٌ في بيت أحد الوجهاء؛ هل ترى أنت أنّ هذينِ العملينِ مدعاةُ عيبٍ وتحقيرٍ؟ لماذا؟

6 هل تعتبرُ أنّ بين أنواع العملِ نوعاً مُعيباً أو مُهيناً؟ لماذا؟

3) في التّعبيرِ واللُّغةِ

1 أحرّر في ما لا يُجاوزُ عشرةَ سطورٍ، كيف تتحضّرُ لاستقبالِ عيدي الميلاد ورأس السّنة.

2 اشرَحْ معانيَ العباراتِ التّاليةِ:
أُحِسُّ في الوانِها الزّاهيةِ دِفءَ الرّبيعِ - تألّمتُ كثيراً من عجزي عن ضبط لساني - رأيتَني أكثرَ انضباطاً وأقلَّ رغبةً في الثّرثرةِ - باتَ الأغنياء يطرُدن إلينا من علٍ - كان شديدَ الأنفةِ يكرهُ الملق والتّزلّف - وأنتَ قُمتَ.

3 أوِّلْ «أنْ» وما بعدَها بمصدرٍ، ثمّ حدِّدْ محلّهُ في الإعراب:
توسّلوا إليْها (أنْ تحكيَ) لهُم إحدى قِصصِها - (بأنْ تُغلّفَ) إطاراً منَ الحجارةِ - لا بدَّ (أنْ يُستجابَ) - كُنتُ مصمّمةً على (أنْ أطلبَ) شفاءَ أخي - حيرَ لتُ (أنْ تسكتي) - أيجوزُ لهُ (أنْ يتصرّفَ) على هواه؟ - لم يبقَ إلّا (أنْ نصنع) لطفلِ يسوع - كان في وُسعي (أنْ أردَّ) شتائمَها - قرّرْتُ (أنْ أطرُدَ) من فكري كُلَّ فكرةٍ أنانيّةٍ - وهي (أنْ يُشفى) أخي.

4. حوِّلْ إلى صيغةِ المُثنّى فصيغةِ الجمع العبارتَيْنِ التّاليتَيْنِ:
أخي سيُشفى، وأُختي ستنْمو.

الهرُّ البرّيُّ

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1. مَن هو «الهرُّ البرّيُّ»؟ ومَن أطلق عليْه هذا الاسم؟ ولماذا؟
2. ما رأيُكَ في تصرُّفِ الأمِّ تُجاهَ هَذا الولدِ المُتشرِّدِ؟
3. هَل تَعتبرُ إيواءَها إيّاهُ استغلالاً لحالتِهِ؟ ما بُرهانُكَ؟
4. كيفَ كانتْ علاقةُ عادلٍ وسلمى «بالهرِّ البرّيِّ»؟ وما رأيُكَ في تصرُّفاتِهِما تُجاهَهُ؟
5. ما كانَ مصيرُ كريمٍ في النّهايةِ؟ ولماذا؟
6. كيفَ عبَّرتْ سلمى عن ندمِها على تصرُّفاتِها مع أخيها نحو كريمٍ؟ وبِمَ برَّرَتْ هَذه التّصرُّفاتِ؟

2 مِن وَحْيِ النّصِّ

1. في شوارعِ الكثيرُ مِن أمثالِ كريمٍ، مَن تُحمِّلُ المسؤوليّةَ عن تَشرُّدِهِم؟ ولماذا؟
2. لماذا تَكونُ الطّفولةُ أحياناً قاسيةً لا تَرحمُ؟
3. ماذا تعرفُ عن القورْما؟ وكيفَ تُصنعُ؟ وهل تذوَّقْتَها يوماً؟
4. لو دخل كريمٌ إلى بيتِكُم، فهَل كُنتَ عاملْتَهُ معاملةَ عادلٍ وأختِهِ؟ لماذا؟
5. ما رأيُكَ في دُورِ الميائمِ؟ وهَل تَعرِفُ أحدَها؟ وهَل زُرتَهُ؟

3 في التّعبير واللُّغةِ

1 صادف عادلٌ كريماً بعد مُدّةٍ، فدار بينهُما حوارٌ شائقٌ؛ تخيّلْ هذا الحوارَ وانقُلْهُ إلينا.

2 أعدْ، بلُغتكَ، صياغة العبارات التّالية، مُحافظاً على المعنى:

لَكنّ الصّبيّ لم يتحرّكْ من موضعه، ولَم يبْدُ في وجهه أيُّ إشارةٍ أو استجابةٍ - أمّا والدتي فارتابتْ في الأمر - أخذتْ تُقلّبُ نظرها بيننا، تُراقبُ حركات كلّ واحدٍ منّا وأماراتِ وجهه لترى هل في الأمرِ خداعٌ.

3 فصّلْ إعرابَ ما يلي:

وحين شُفي ذهبتُ به إلى المخيم، لعلّ أصحابَهُ يكونون أرأفَ به منّا.

4 إلى مَن يعودُ ضميرُ الغائب في كلٍّ مِنَ الكلماتِ: ذهبتُ بِهِ - أصحابَهُ - أرأفَ بهِ.

8 حكايةُ العَلَم

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1 ما اسمُ الفتاةِ الّتي تدورُ حولَها القِصّةُ؟ وما صفاتُها؟

2 كيفَ تعرّفَتِ الفتاةُ بالفتى الّذي أصبحَ فيما بعدُ زوجَها؟ وما كان اسمُه؟

3 ما القاسِمُ المُشترَكُ بينَهُما مِن حيثُ الأصلُ؟

4 من أينَ انطلَقا في رحلتِهما؟ وإلى أينَ وصَلا؟ وماذا قرّرا؟ ولماذا؟

5. لماذا أحبَّهُما النّاسُ في «لبنانَ»؟
6. كيف تكوَّنتْ ألوانُ العلم: الأبيضُ والأخضرُ والأحمرُ؟ وإلامَ يرمزُ كلٌّ منها، بحسبِ أحداثِ القصّةِ؟
7. أواقعيّةٌ هذه القِصّةُ أمْ خُرافيّةٌ؟ علِّلْ إجابتَكَ.

(2) مِن وَحْيِ النّصّ

1. عرِّفْنا بكلٍّ من الأسماء التّالية الّتي وردتْ في القصّة: الأولمب - أفروديت - أپولو - الپيريه - أوروبّا - فينيقيا - هلّاس - مارْس - قرطاجة - عشتار - أدونيس - فينوس - جوبيتر
2. كيفَ تمّ فعلاً وضعُ العلمِ اللّبنانيِّ الحاليِّ؟ ومن وضعهُ؟
3. وَرَدَ في القصّةِ أنَّ القصرَ الّذي بنَتْهُ الأميرةُ سُمِّيَ «قصرَ الصّنوبَر»، وفي «لُبنانَ» اليومَ مكانٌ معروفٌ باسم «قصرِ الصّنوبرِ»؛ أهو نفسُه الّذي وردَ في القِصّةِ، أمْ تُراهُ قصراً آخَرَ؟ ابحثْ عَنِ الأمرِ، وأخبِرْنا بما تتوصّلُ إليه.

(3) في التّعبيرِ واللُّغةِ

1. لخِّصْ هذه القصّةَ بما لا يُجاوزُ خمسةً وعشرينَ سطراً.
2. حوِّلْ إلى صيغة المثنّى ثمّ إلى صيغة الجمع، العبارةَ التّاليةَ:
«وطعنتْ نفسها بمُديةٍ كانتْ أخذتْها من حرائر أبيها وأخفتْها في ملابسِها».
3. حدِّدْ نوعَ «الفاءِ» في كلٍّ مِنَ العباراتِ التّاليةِ:
نعم، ووَجدْتُ فيكِ وَحْيي الأكبرَ، فأنتِ مِن سُلالةِ الملوك - أمّا أبي فمن سُلالةِ الملوك. لعلّهُ فينيقيُّ الأصلِ. فأنا وأنتِ مُتشابهانِ - ألا تَشعُرينَ بما أشعرُ به؟ فأطرقَتْ لحظةً

ثمّ قالَتْ: سنلتقي غداً ـ وَجدَتْ في مَوطِنِ الأرزِ ضالّتَها، فعزمَتْ على بناءِ صَرحِ سعادتِها ـ وحَملَتْ جثّةَ روحِها فلفّتْها بالعَلَمِ ـ لتتّخذَ له عَلَماً وشعاراً يُعرفُ به، فيُصبح مدحاً للقُصّاد.

9 خمسةُ فدادينَ

1 في الفَهمِ والتّحليلِ

1 لماذا لَم يَحزَنْ أبو سعيدٍ كثيراً على وفاةِ زوجتِهِ؟

2 ما كانَ سببُ زواجِهِ بها؟ أَحُبّاً أمْ مصلحةً؟ علِّلْ إجابتَكَ.

3 لماذا أخّرَ أبو سعيدٍ زواجَ ابنِه حتّى سنّ الثّلاثين؟

4 مَنِ الّذي تسرّعَ في اختيارِ العروسِ لسعيدٍ، أسعيدٌ نفسُه أمْ أبوهُ؟ كيفَ عَرَفْتَ؟

5 ما الّذي أقنعَ أبا سعيدٍ باقتراحِ الخادمةِ العجوزِ زواجَهُ مجدّداً؟

6 ولماذا اعتبرَ نفسَهُ غبيّاً وأحمقَ ومتسرّعاً في زواجِهِ الثّاني؟

2 مِن وَحْيِ النّصّ

1 في ضوءِ ما قرأتَ مِن أحداثِ القِصّةِ، هل تُحبُّ أنْ تعيشَ عيشةَ أهلِ القُرى؟ لماذا؟

2 هل تَسعى أنتَ إلى مصاهرةِ عائلةٍ مِنَ الأكابرِ، لمجرّدِ التّباهي بأنّكَ صِهرُ هَذه العائلةِ؟ لماذا؟

3 هل ترى أنّ الزّواجَ النّاجحَ شرطُه توفّرُ المالِ والغنى؟ لماذا؟

③ في التّعبيرِ واللُّغةِ

1 لخّصْ هذه القِصّةَ بما لا يُجاوزُ خمسةً وعشرينَ سطراً.

2 استخرجْ من المقطعيْنِ الأوّلِ والثّاني مِنَ القصّةِ، الأفعالَ النّاقصةَ، وعيّنِ اسمَ كلٍّ منها وخبرَهُ، وحدّدْ نوعَ الإسمِ (ظاهرٌ، ضميرٌ متّصلٌ، ضميرٌ مستترٌ فيه) ونوعَ الخبرِ (مفردٌ، جملةٌ فعليّةٌ أو اسميّةٌ، شبهُ جملةٍ).

3 عيّنْ محلَّ كلٍّ مِنَ الجُملِ الفعليّةِ والاسميّةِ في الإعرابِ:
صحيحٌ أنّ زواجهُ كانَ موفّقاً - ما أشدَّ الفرقَ بينَ مريم وهذه الفتاةِ - تغسلُ وتطبخُ وأهلُ البيتِ نيامٌ - تُعِدُّ له حفيداً يفرحُ به ويرثُ هداياهُ. أخذتْ تردّدُ خجولاً - ردّدتْها من غيرِ اكتراثٍ، كأنّها تلميذٌ يتلو على معلّمه أمثولةً مستظهرةً - لكنّها تركتْ في نفسه أثراً - فالإنسانُ لا يعيشُ أبداً - كثيرون تزوّجوا في مثلِ سنّهِ - جلسَ يستقبلُ أفواجَ المعزّينَ.

محتوى الكتابْ

أقاصيصُ وحكاياتٌ